محمد يوسف بنوري: إسهاماته في تطوير الدراسات العربية مع التركيز الخاص على علم الحديث

بحث جامعي لنيل شهادة **الدكتوراه**

إعداد وتقديم

محمد محفوظ الرحمن

تحت إشراف

الدكتور محمد قطب الدين

مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية دراسة اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهي-110067

يوليو 2017

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Dated: 20 -07-2017

DECLARATION

I declare that the material in this thesis entitled "(***Muhammad Yousuf Binnauri: ishāmātuhū fi taṭwīr al-dirāsāt al-'arabīyyah m'a al- tarkeez 'ala 'ilm al- Hadith)***" [Muhammad Yousuf Binnauri's contribution to Arabic studies with special focus on ilm al-Hadith] submitted by me, is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this university or any other university/ institution.

Mahfoozur Rahman
Md. Mahfoozur Rahman
(Research of Scholar)

20/7/17
Dr. Md.Qutbuddin
(Supervisor)
CAAS/SLL&CS/JNU
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. Rizwanur Rahman
(Chairperson)
CAAS/SLL&CS/JNU

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان وخلق الإنسان وعلّمه البيان، والصلوة والسلام على سيد الأنام الذي جاء برسالة القرآن وآله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

فإنّ الهند - منذ القدم- تحتل مكانة مرموقة في العلم والحكمة والحضارة والثقافة، وهي خير مثيل في العالم كله للتعددية الثقافية والحضارية، وإنّ هذه التربة قد شهدت أدواراً كثيرةً منذ غابر العصور. إذا طالعنا الكتب التاريخية فوجدنا أن الهند والعرب كانا على علاقة وثيقة منذ القديم وتعززت هذه العلاقات بعد دخول الإسلام في هذه البقعة الخصبة بواسطة التجار العرب والفتوحات الإسلامية وقوى التبادل الثقافي والحضاري والعلمي واللغوي بينهما بعد أن اتخذها المسلمون العرب وطنا لهم، وظلت البلاد على تبادل مستمر مع العالم العربي في مجال العلوم العربية والفنون الإسلامية أيضا إلى جانب التبادلات في المجالات الأخرى. فسافر عدد من علماء الهند إلى العالم العربي

ومازال علماء الهند يتأثرون بالنتاج العلمي والأدبي للعرب وينشرون التعاليم الإسلامية بين الجماهير. هكذا عرفت الهند العلوم الإسلامية من التفسير والحديث والأدب العربي والعلوم الأخرى.

وأنجبت الهند عباقرة ورجالا أكفاء في كل زمن من الأزمان اعترف لهم علماء العرب بجلالة قدرهم وعظمة مكانتهم، واقتنعوا بنبوغهم ومقدرتهم وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم يقتبسون ويستدلون بها، وذلك لأن كتاباتهم مليئة بالأفكار الجديدة والاستنباطات العلمية التي تخلو عنها كتب أكثر معاصريهم. إن العلماء قد بذلوا الجهود المشكورة في تطوير العلوم الإسلامية مثل التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام وما إلى ذلك وخدموا في نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الكتاب والسنة في مختلف أصقاع الهند، فنرى أن هؤلاء العلماء خلفوا آثاراً خالدةً في مجال العلم والأدب عبر العصور لايمكن إحصاؤها.

ومن أبرز هؤلاء العلماء والشعراء النابغة كان العلامة المحدث والأديب البارع محمد يوسف البنوري الذي ولد في القرن التاسع عشر الميلادي في باكستان وتثقف في ظل المحدثين الكبار ونوابغ العلماء في ديوبند. وقام الشيخ البنوري –رحمه الله- بخدمات جليلة ونشاطات علمية، فاختار خدمة العلم والدين وسلك في هذا

المضمار مسلك أساتذة الكبار لاسيما إمام العصر والمحدث الكبير محمد أنور شاه الكشميري الذي كان له الشيخ يوسف البنوري خير خلف وخير ترجمان في دراسة الحديث وشرحها وتوضيحها في أسلوب سهل بسيط قلما يوجد نظيره.

وبناءً على هذه الميزات البارزة نال الشيخ البنوري شهرة واسعة واكتسب تقديراً واحتراماً في الأوساط العلمية والأدبية، فله مؤلفات علمية قيمة بالإضافة إلى كتابة مقدمات نفيسة بديعة على أمهات الكتب في مجال الحديث والعلوم الأخرى. كما كتب الرسائل والمقالات الأدبية الرائعة في المجلات العربية والأدبية في العالم.

هو يعد من أكبر أدباء وشعراء الهند باللغة العربية في العصر الحديث فقرض الشعر في موضوعات مختلفة وأصناف متنوعة في عديد من المناسبات. فيبلغ عدد أبياته أكثر من الآلاف، وعندما ظهرت الفتنة الضالة في عصره تسارع إلى الدفاع عن الدين الإسلامي ولم يألُ جهدا في مكافحة هذه الفئات الزائفة وبذل قصارى جهوده لاستئصال شأفتها.

نظراً لمكانته العالية وباعه الطويل وخلقه الجليلة ومؤلفاته الكثيرة ومساهمته القيمة في العلوم الإسلامية وخاصة في علم الحديث والأدب، إنّه يستحق كل

احترام وتقدير وثناء وذكر. وها هو أعجبتني وأثارني على اختيار هذا الموضوع لرسالة الدكتوراه لكي أخوض في غمار البحث وأركز جهودي على مساهمته العظيمة في علم الحديث والأدب العربي. قد حاولت عرضه في ثوب قشيب ونظمه في سلك بديع.

وللوصول إلى هذا الهدف وزعت هذا البحث إلى أربعة أبواب إضافة إلى مقدمة وخاتمة.

الباب الأول: دار العلوم بديوبند والمنهج الدراسي

فألقيت فيه نظرة عابرة على الأوضاع السياسية والاجتماعية في الهند قبل تأسيس دار العلوم ديوبند ثم قمت بذكر نشأتها، وأثرها في المجتمع الهندي، واختيارها النظام التعليمي القوي بشيء من التفصيل.

الباب الثاني: حياة العلامة محمد يوسف البنوري وأعماله

فهو يكشف النقاب عن شخصية العلامة محمد يوسف البنوري، قد جئنا فيه بالذكر عن حياته وسفره لتحصيل العلوم الإسلامية إلى ديوبند، وأعماله القيمة طول حياته، وأيضا ركزت الأضواء فيه على بعض أساتذته حيث تثقف هو في ظلّهم.

الباب الثالث: خدماته العلمية وعلم الحديث

فهو يدور حول خدماته العلمية وتأليفاته القيمة، منها تأسيس الجامعة الإسلامية بنوري تاؤن، كراتشي. وقد أبرزت فيه ميزات مقدمات نفيسة رائعة كتبها الشيخ البنوري على بعض الكتب القيمة في علم الحديث مع ذكر خدمات قيمة له.

الباب الرابع: الشيخ يوسف البنوري أديباً وشاعراً

تناولت فيه شخصية الشيخ البنوري -رحمه الله- بصفته أديباً وشاعراً واستعرضت القصائد التي تنطوي على أصناف مختلفة من الشعر بقدر من الإسهاب، كما قمت فيه بدراسة فنية وأدبية لبعض أبياته مع إبراز مزاياها وأسلوبها. ولاشك في أن الموضوع الذي اخترته للبحث هو موضوع طويل حيث لايسعه بحث واحد، ولايمكن لي أن أقدم بتأدية حقه في هذه الأطروحة الوجيزة لأن الموضوع يتسع مضموناً ومعنىً ومادأً يحتاج إلى تأليف مجلدات ضخمة، ومع ذلك حاولت بقدر استطاعتي أن يكون هذا العمل أقرب إلى الكمال وأبلغ في هذا المجال، وأسأل الله تعالى أن يشرح لي صدري ويسرلي أمري ويوفقني لإنجاز رسالتي.

وفي الحقيقة إني تجشمت مشاكل جمة وصعوبات كثيرة في إعداد هذه الإطروحة وذلك لأنّ المواد المتعلقة بهذا الموضوع كانت منتشرة في شتى المكتبات فاستفدت من مكتبة دار العلوم بديوبند، ومكتبة جامعة جواهر لال نهرو بدهلي الجديدة، ومكتبة جمعية علماء الهند بدهلي الجديدة، ومكتبة الجامعة الملية الإسلامية بدهلي الجديدة ، ومكتبة جامعة دلهي المركزية بدلهي وغيرها. فأتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان للقائمين على هذه المكتبات ومسؤوليها.

وبهذه المناسبة من الواجب علي أن أتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي ومشرفي الدكتور محمد قطب الدين، الأستاذ المساعد لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة جواهر لال نهرو بدهلي الجديدة الذي مهّد لي الطريق وشجّعني على البحث والاطلاع، وأسبغ علي من توجيهاته ومعلوماته القيمة التي سأبقي مديناً له طيلة حياتي. فلو لا توجيهه وإرشاده وتشجيعه على إحراز هذا العمل لما برزت هذه الإطروحة إلى حيز الوجود فله مني جزيل الشكر وخالص الاعتراف بالجميل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أساتذتي بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة جواهر لال نهرو بدهلي الجديدة على إفادتهم ببعض الملاحظات الهامة أثناء كتابة بحثي.

هذا، وقد بذلت جهدي ووسعي في سبيل الوصول إلى إخراج هذا البحث على هذه الصورة، ولا أدعي أن بلغت الكمال في هذا العمل أو قاربته فأعتذر عن نواحي النقص والتقصير، والكمال لله وحده.

محمد محفوظ الرحمن

جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي

الباب الأول

دارالعلوم ديوبند والمنهج الدراسي

الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الهند قبل تأسيس دارالعلوم بديوبند

الفصل الثاني: نشأة دارالعلوم ديوبند وأثرها في المجتمع الهندي

الفصل الثالث: النظام التعليمي والمنهج الدراسي لدارالعلوم ديوبند

الفصل الأول

الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الهند قبل تأسيس دارالعلوم بديوبند

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أشرف الأنبياء والمرسلين. أمابعد!

الهند دولة عريقة ذات ديانات متعددة وحضارات مختلفة منذ القدم، ولها تاريخ قديم يرجع إلى قبل خمسة آلاف سنة. ولكن هي كانت بقعة منعزلة عن المعمورة الخارجية سياسيا قبل نزوح التجار المسلمين العرب إليها، فإن الإسلام أول ما دخل سواحل مالابار وجزيرة سيلان في جنوب الهند، وهم كانوا تعودوا السفراء للمناطق الساحلية في الهند، فاستوطنوا فيها، واختلط مع القابطين في هذه البقعة الأرضية اختلاطا تاما حتى تأثروا بأخلاقهم وسلوكهم تأثيرا عميقا، فأسلم عدد غير لا بأس به[1]، وهذه كانت بداية دخول الإسلام والمسلمين في الهند.

بعد قرون دخل الإسلام والمسلمون في بلاد السند وما جاوروها من البلدان لما أرسل الحجاج ابن أخيه محمد بن قاسم الثقفي (المتوفى نحو 96هـ/717م) في

[1] الدكتور عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند. ص 94.

عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بجيش قوي وعدة تامة وانتصر القائد الشاب وفتح قلعة ديبيل ونيرون، فاحتل السند كلها أخيراً، حيث يكتب عبد المنعم النمر:

"وأشهرها حملة محمد بن قاسم الذي وجهه عمه (الحجاج بن يوسف الثقفي) والي العراق، وقد نجحت هذه الحملة أيما نجاح وفتحت الطريق لسيطرة الولاة الأموية على جزء كبير من الهند"[2]

واستمر هذا الحكم العربي إلى مئتى سنة تقريباً وانتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في السند خاصة وفي الهند عامة، ولقد أثرت الثقافة الاسلامية كثيراً في المجتمع الهندي وقضت على التقاليد الوحشية وظاهرة اللمس المنبوذ والفارق الطبقى بين الفئات المختلفة أو كادت.

وبعده جاء محمود غزنوي تركي الأصل الذي هاجم الهند بقواته المسلحة في عام 1000م وشنّ الغارة على كثير من المدن الهندية مرة بعد مرة حتى ضم بعض المناطق الغربية إلى مملكته، ثم جاءت الدولة الغورية شهاب الدين الغوري (المتوفى1206م) وغزا الهند، ووطد فيها دعائم الاستقرار للحكم الإسلام، وبعد

[2] الدكتور عبد المنعم النمر،كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص: **19**.

ذلك استمرت دولة المماليك إلى 87 سنة، ثم جاء الخلجيون وتولوا السلطة حتى 31سنة ثم قامت الدولة التغلقية وظلت في العرش الحكومي نحو 135سنة حتى ضعفت قوة التغلقيين، وطوى بساطهم، ثم شاهدت عاصمة الهند دهلي عدة دول صغيرة حتى جاء اللودهيون 1451م، وفي عهد إبراهيم اللودهي جاء بابر من كابل وهزم ابراهيم اللودهي في سنة 1450م، وأسس دولة مغولية قوية حكمت طول البلاد وعرضها واستمرت دولة المغول حتى جاء دور أورنك زيب عالمكير بن السلطان شاه جهان صاحب الأثار الخالدة، وهو رجل هذا البيت الرشيد الذي ضم الهند كلها من حدود بورما إلى أرض أفغانستان تحت سلطانه مما لم يسبق له نظير من قبل ولا يضاهيه أحد من اتساع الدولة وطول مدة الحكومة معا فهو حكم البلاد مدة خمسين سنة حيث أقام دولة العلم والدين وازدهر العلم والتعليم في عهده ازدهاراً باهراً فأصبح عصره أحسن الأعصار وزمانه أنضر الأزمنة[3].

ومما يلاحظ أن الهند تحت الحكم الإسلامي ثماني قرون ونصف قد ازدهرت ازدهاراً بالغاً بكثرة الموارد المالية والثروة الهائلة وأصالة العناصر

[3]. الدكتور عبد المنعم النمر، ابو الكلام آزاد المصلح الديني في الهند، ص: 24

الثقافية وبلغت ذروة الكمال والقوة والاتساع بسبب تفوق الحكام العسكري وأسلوب حكمهم وحضارتهم. وكما تمتعت بالأمن والأمان، والرفاهية والرقي في العهد الإسلامي قروناً طويلاً، وترعرعت الزراعة وارتقى العمران وتقدمت الصناعة ولاسيما صناعة النسيج والغزل، فكثرت الخيرات وتدفقت الخزائن وذاع صيتها في أرجاء العالم حتى سميت "بالطائرة الذهبي"[4].

ومن الأسف أنّ الإمبراطورية المغولية بعد وفاة أورنك زيب عالمكير عام 1707م بدأت تتهاوى من فوق القمة اللتى أقعدها فوقه، وتتدهور أوضاعها السياسية شيئا فشيئا لأنّ خلفاءه لم يكونوا مخلصين خبراء وأكفاء في السياسة والدين ليست لهم فكرة قوية أيدولوجية لإدارة الحكومة وتنفيذ الأمور بإصالة وقوة، ولم يستطيعوا في الحفاظ على الحكومة الاسلامية وإزالة القوى التخريبيّة.

ثم ضعفت الحكومة المركزية واستقل حكام الأقاليم وسيطرت عليهم مصالحهم الخاصة، وتعاركوا وشتتوا فيما بينهم على الحكم حتى فسدت القيم الأخلاقية واضمحل اقتصاد الدولة واضطرب الأمن والأمان والرقى فنرى أن

---

[4]. الدكتور عبد المنعم النمر، ابو الكلام آزاد المصلح الديني في الهند، ص: 24

الملوك المسلمين قد انخسر نفوذهم وانزوى سلطانهم حتى أصبحوا صورة لا نفوذ ولا سلطان[5].

وفي الحقيقة أن النظام الإستعماري هو سبب التدهور والتدني للحكومة الامبراطورية، فإن الأوربين في طليعتهم الإنجليز، قد دخلوا سواحل الهند في نهاية القرن الخامس عشر لغرض التجارة وأنشأوا مراكزا تجارية لهم في سواحل المناطق الواقعة على سواحل الهند، وكسبوا ربحا هائلا من خيرات الهند وحصلوا على مغانم وفيرة منها وذلك بسبب عطف حكام المسلمين عليهم وتوفير بعض التسهيلات لهم، وبعد أيام أنشأوا شركة تجارية سمّيت الشركة الهندية الشرقية (East India Company) وما زالو يشتغلون بالتجارة حتى بدأت تضعف أقدام الدولة المغولية وتتلاشى حيويتها السياسية، فانتهزوا تلك الفرصة لتبدأ نشاطاتها وتلعب دوراً هاماً في تفاقم أوضاع البلاد بكل قوة وصلابة، فبدأوا يدبرون المؤامرات البشعة ويحوكون الدسائس ضد الملوك والأمراء، حتى يتدخلون في شؤون الدولة ويبذرون الفساد ويحرشون بين الأمراء ولكن أمراءنا السذج لم

---

[5]. نفس المصدر، ص: 24

يدركوا نواياهم الفاسدة ببساطتهم وحسن ظنهم، وبذلك اختلت حبل الدولة المغولية وضعفت نفوذها في الإدارة والتنفيذ[6].

على مر الأيام سيطروا على شتى المناطق الهندية، وبسط نفوذهم في اتخاذ القرارات للولايات المحلية، فاستعد لمحاربهم ومطاردتهم النواب سراج الدولة وقاومهم في معركة بلاسي سنة 1757م لكن لم ينتصر عليهم بخيانة بعض قواده وقبض عليه، ولم تزل هذه السلسلة للقتال بين الهند والإنجليز حتى نهض الملك الهمام العزيز فتح علي خان المشهور بتيبوسلطان الذي عرف ببعد نظره ودقة فكره، وبذل أقصى جهوده في القضاء على القوة الإستعمارية لأنّه تيقن بأنّ الإنجليز سيزدردون هذه البلاد كلقمةٍ سائغةٍ إذا لم تقم في وجوههم قوّةً منظمةً، فحارب الإنجليز بكل ما يملكه من قوة حربية وعدة عتاد، وحرض أمراء الهند على القضاء على هذه الجرثومة الإنجليز السامة لكن ما نجح في مرامه بغدر وزيره مير صادق حيث انسل هو وبعض أمراءه في جنوب الهند إلى الإنجليز فخسر القائد الشجاع وسقط صريعا في اليوم الرابع من مايو سنة 1799م وفضل الموت على

---

[6]. أبوالحسن علي الندوي ، القراءة الراشدة، ص 22.

الأسر في يد الإنجليز[7].وقال: "يوم من حياة الأسد خير من مئة سنة من حياة ابن آوى". تنفس الإنجليز الصعداء من أقوى خصم لهم في الهند.

وظلت هذه الصورة حتى بدأ الإنجليز يتدخلون في الأمور الدينية والشرعية للمسلمين، ويعملون على تفاقم قوى المسلمين ويجففون حياتهم الكريمة التي تدر على المدارس الدينية والمؤسسات الخيريّة. وهذا هو الذي زاد استياء المسلمين وأشعل النار في صدورهم فالتهبت قلوبهم لأنهم قد اكتوو بنار المنافرة والتدخل مباشرة.

فالشيخ ولي الله المحدث الدهلوي هو أول من رفع صوته ضد هذا التدخل الشنيع حيثما تجرأ مندوب الشركة الإنجليزية على إجبار الملك المغولي على توقيع قرارات في 1218هـ وأعلن أن الخلق لله والملك لله والحكم للشركة مشيراً إلى أن السلطة تكون في يد الإنجليز، أما الملك فيبقى رمزيا بلا نفوذ، فعارض الشيخ ولي الله هذه الفكرة وتحداهم بقوة بأنه لايتصور وجود ملك مسلم بدون نفوذ إلا إذا تصورنا الشمش بدون ضوءٍ.[8]

---

[7]. أبوالحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، ص: **146**

[8]. مجلة الداعي، عدد خاص، مارس و أبريل **1980**، ص: **13**

ثم قام الشاه ولي الله الدهلوي بإنشاء حركة إصلاحية لتشريد المستعمرين من البلاد وتحسين أوضاع المسلمين فيها، وسميت الحركة :فك كل نظام" وحقا كانت هي انقلاباً صريحاً وشاملاً على كل نظام وكانت بمثابة شمعة تشعل في ظل هبوب الرياح العاصفة بإسم الملوكية أو مايشبه ذلك[9].

وبعد وفاة الشاه ولي الله الدهلوي رفع ابنه عبد العزيز لواء الحركة الإسلامية حين خضعت القوة الإسلامية أمام الإنجليز فقام الإمام عبد العزيز باستنارة الشعب لحماية الملك وأصدر فتوى المشهورة فإن الهند قد تحولت إلى دار حرب لا دار سلام، وعلى المسلمين أن يهبوا جميعا للجهاد لأن العمل والعقد قد انحل في يد المسيحيين الإنجليز الذين يدبرون الأمور ويعينون المواطنين ويشرفون على القضاء والنظام ولايحترمون الأمور السياسية للإسلام ويهدمون المساجد بغير مبالاة.

وانتشرت فتوى الإمام في سائر البلاد وسار العلماء على نمطها من فتاويهم فأخذ العلماء يجولون في القرى والأرياف لتحريض الناس على الإنجليز وحثهم

[9]. مولانا محمد ميان، علماء هند كا شاندار ماضي، ص: 26

على الجهاد فخاضوا الحروب لإنقاذ المسلمين من الإنجليز الغاشم ومن يحذو حذوهم في قتل المسلمين ونهب أموالهم وهتك أعراضهم.[10]

ثم تولى السيد أحمد شهيد رحمه الله زمام هذه الحركة بعد وفاة عبد العزيز وانضم إليها آلاف من الشباب المسلمين وأشعلوا في قلوبهم شعلة الإيمان والحماسة الدينية وحثهم على الجهاد في سبيل الله فأضحت حركة قوية فعالة ضد البريطانيين حتى نجح هؤلاء الرجال في تأسيس دولة شرعية في حدود الهند الشمالية الغربية حيث اصطدموا بجيش السيخ في وادي بالاكوت فاستشهد الإمام أحمد وصاحبه الشيخ إسماعيل وكبار أصحابهما سنة 1831م.[11]

استبد اليأس بعد استشهاد هؤلاء المجاهدين بأهالي البلاد الذين كانوا يتذمرون من قوة عمال الشركة وسوء صنيعهم واشتدت مضايقات واعتداءات السافرة على المسلمين حتى وصلوا إلى شفا جرف من الدمار والهلاك بما يعانون من المصائب والشدائد.

وسط هذه المصائب والشدائد التي بلغت إلى حد ينتدى له جبين الإنسانية وتقشعر الجلود، حملوا لواء الجهاد والنضال الذي أشعل جمراته سيد أحمد

---

[10]. مجلة الداعي، عدد خاص، مارس وأبريل 1980، ص: 13.

[11]. ثقافة الهند، المجلد، رقم 41، العدد 2، عام 1990، ص: 40-41

شهيد واستمروا به حتى انفجرت ثورة جامحة في مايو سنة 1857 لإنقاذ البلاد من شر الاستعمار وانتشرت في معظم أرجاء الهند ساهم فيها المسلمون والهندوس على حد سواء بكل فعالية لقسوة موظفي الشركة البريطانية وسوء صنيعهم مع المواطنين الهنود. فأصبحت ثورة شعبية رهيبة ويعتبرها المؤرخون كفاحا عظيما وأول حرب استقلال خاضتها البلاد كلها لأنها كانت أول تعبير أساسي عن المشاعر الوطنية وأول عمل ضد الوجود البريطاني. وقد بدأت الثورة أولا في ميروت بسبب جرح المشاعر الدينية لكل من الهندوس والمسلمين، والاستيلاء على الممتلكات، وإدخال وسائل التقنية الغربية إلى البلاد كمايقول المؤرخ الشهير إيم إى صديقي:

" إن البريطانيين زودوا قواتهم بأحدث الأنواع من البنادق التي كان رصاصها ممزوجا بشحم الخنازير والمواد المحرمة الممنوع، وأراد الإنجليز بهذه العملية أن يجترحوا مشاعر المسلمين وعواطف الهندوس وإهانتهم كل الإهانية، فامتنعوا عن استخدامها واحتجوا ضد الإنكليز من الثكنات العسكرية العديدة، فهذه العملية من قبل الهنود قد أسوت إلى حد كبير. وفي اليوم التاسع من شهر مايو قد صدر المحكمة العسكرية حكما ضد الثوار بحبسهم مع الاشتغال في

أعمال اشتعال شاقة لمدة عشرة سنوات، لامتناعهم عن استخدام الخرطوشات الملوثة بشحم نجس"[12]

وسجنوا بسبب هذا الرفض في يوم الأحد في العاشر من شهر مايو عند ما كان الضباط الإنكليز في طريق إلى كنيسة للعبادة فقام ثلاثة رجال من المعتقلين بفتح باب السجن وأطلقوا سراح الأسارى الهنود وقتلوا الضباط الإنجليز وانطلقت جموع الثائرين وانسلوا إلى مخزن الأسلحة ثم انطلقت جموع الثائرين إلى مدينة دهلي واتفقوا على إعلان إسم بهادر شاه كإمبراطور للهند لأنه كان سجين"شركة الهند الشرقية "البريطانية وسلطته محدودة في القلعة الحمراء وكان الإنجليز يحكمون البلاد بإسمه ونيابة عنه، فدخل الثوار هذه القلعة وجعلوه قائدا للثورة ورمزا للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي ونادوا به ملكا للهند وقاتل الثوار في كل بقعة من أرض الهند تحت رايته وبإسمه حتى استطاعت هذه الثورة أن تسيطر على مدينة دهلي ولكن لم يمض شهر حتى ذهبت الأوضاع إلى مزيد من التدهور ولم تتحسن هذه الأوضاع إلا بعد قدوم جيش وبلغ مجموعه ١٤ ألفا جنديا بقيادة الجنرال بخت خان الذي كان فطينا خبيرا في المناورة العسكرية ،

---

[12]. History of Muslims, M.A Siddiqui, P.3-4

فأولا قام بتحسين وتعزيز الروابط الأخوية بين المسلمين والهندوس انطلاقا إلى هذا الهدف فحصل على توقيع بهادور شاه لفرض الحظر على ذبح البقرة بمناسبة عيد الأضحى وبذلك عزز التلاحم الوطني والوحدة الوطنية ليكونوا شعبا واحدا موحدا متراصا في هذا المشاق الجليل ولكن الماكرين قاموا بالنميمة بين بخت خان ومرزا المغولي ونجحوا في توسيع الخليج بينهما فغادر الأول دهلي ونهائيا اختفى في سفوح جبال نيبال للأبد.

وفي غضون شهر من السيطرة على مدينة دهلي اندلعت هذه الثورة إلى المناطق المختلفة الأخرى في البلاد نحو "كانبور" و"لكناؤ" و"بنارس" و"إله آباد" و"بريلي" و"جغديش بور" و"جانسي". وامتازت جهود المتمردين بكونها معادية للإنجليز.

ففي كانبور انفجرت الحرب على يد نانا صاحب الإبن المتبنى للقائد "باجي راؤ" وحارب الإنجليز بكل شجاعة وجرأة كما أن "أحمد الله شاه أكبر"و"بيغوم حضرت محل" قد بذلتا الجهود المكثفة في تنفيذ ضربات انتقامية لهزم الإنجليز ومطاردتهم.

أمّا في ولاية بيهار فإن كمار سينغ مالك أراضي "جغديش بور" قاد حركة التمرد والعصيان ضد البريطانيين وكما في مدينة "بريلي" تأهب "خان بهادور" خليفة الحاكم السابق لـ"روهيل كهند" بقيادة جيش يزيد على ٤٥ ألف جندي وقاوم البريطانيين بكل حماس وبسالة.

وفي هذالصدد لابد أن يذكر البطلة الأرملة "راني لكشمي بائي" التي لعبت دورا بارزا في هذه الثورة في مدينة جانسي، قد تألبت الجماهير المحتشدة من كل ناحية من نواحي الهند عندما أدركت عزم البريطانيين، فتأهبت لمقاومتهم والقتال ضد الأعداء بكل شجاعة وبطولة. وقد نجحت في وضع ضغط شديد متواصل على الإنجليز، وكادت أن تزلزل الأرض من تحت أقدامهم لكن أصيبت بجروح ولقيت حتفها ودرج إسمها بحروف ذهبية في سجل التاريخ.

ولم تنحصر هذه الثورة أبدا في هذه المراكز فقط بل امتدت إلى بعض المناطق الأخرى، واستمرت محاولات صدام مكشوف مرات كثيرة مع الإستعمار الإنجليزي. كانت آخر هذه المحاولة الجريئة معركة الجهاد التي خاضها الإمام قاسم النانوتوي وزملائه وشيوخه العظام رشيد أحمد الغنغوهي والحافظ ضامن والحاج إمداد الله، ومولانا محمد الذي كان يتردد في هذا الأمر لعدم الاستعداد

وعدم وجود الأسلحة توازي ما في أيدي الإنجليز، فرد الشيخ قاسم النانوتوي قائلا: ألا توجد الأسلحة مثل ما كانت في أيدي أهل البدر؟[13] فاستعدوا لمطاردة الإنجليز وتجمعوا في قرية" شاملي" بمديرية "مظفرنكر" حيث جرت فيها معركة حامية بينهم وبين الإنجليز ففتحوا مدينة شاملي وأقاموا فيها الحكم الإسلامي. وقد استشهد فيها أحد العلماء الربانيين الكبار الحافظ محمد ضامن فيما أصيب الشيخ محمد قاسم في عضدته، وظل المجاهدون دائبين في أعمالهم بكل شجاعة وبطالة، ولكن أنباء سيطرة الإنجليز على مدينة دهلي أخمدت فيهم روح الحماس أمام أعدائهم، وبردت مشاعر غضب عارمة، فلم يجدوا بدا من إلقاء السلاح والانسحاب من مواقعهم فاضطر مولانا إمداد الله إلى الهجرة إلى مكة المكرمة وألقي القبض على مولانا رشيد أحمد الغنغوهي وظل محتجزا في السجن ستة أشهر واختفي مولانا محمد قاسم النانوتوي حتى صدور قانون العفو العام.

ثم خيّم الظلام على الهند كلها، وتناهت الحالة سوءًا؛ حيث لفظت الدولة الإسلامية القائمة إسماً في دهلي أنفاسها الأخيرة؛ إذ فشلت الثورة بمؤامرات من داخل الصف، وبقوة الجنود والبنود وكثرة العَدد والعُدد من قبل الإستعمار

[13]. عبيدالله الأسعدي، دارالعلوم مدرسة فكرية، ص: 295.

الإنجليزي الذي كان قد قضى نهائيا على الدولة المغولية الإسلامية، وعلى ذلك فتم استيلاء الإنجليز على الهند كلها شرقاً وغرباً، فصبّوا سوط العذاب وأشد الويلات على الهنود بصورة بشعة، وخصيصاً على المسلمين، فوضعوا السيف في أعناقهم في دهلي وفي أرجاء البلاد، وكثر القتلى والجرحى، وامتلأت الشوارع والطرقات بجثث الشهداء، وتعرّض العلماء ورجال الفكر والدعوة خصيصاً لغضب المسلمين بحكم ضلوعهم في الجهود الرامية إلى تحرير البلاد عام1857م، فقُتّلوا تقتيلاً وشُرّدوا تشريداً، وأُعدموا شنقاً بعدد لايحصى. ومن تخلص منهم من ذلك كله نُفُوا إلى جزيرة "إندومان" التي كان منفى سياسيّاً على عهد الإنجليز لكونها ملائمة طبيعيًّا وجغرافيًّا للحياة الإنسانية والصحة الجسمانية. وأصبح نصب عينيهم أن يستأصلوا كافة المسلمين فضاقت عليهم الأرض بمارحبت.

يقول الشيخ أبوالحسن علي الندوي في هذالصدد:

"ولما أخفقت الثورة، لأسباب شرحت في الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، صب الإنجليز على أهل الهند جام غضبهم وانتقموا منهم انتقاماً شديداً وبطشوا بالهند بين شعب وأمة بطشة جبار، لايعرف الرحمة، ولايعرف العدل، ولايعرف الإنسانية، ولايعرف الحدود، وكانت مجزرة هائلة جددت ذكرى مذابح جنكيز

وهلاكو، وقد قتلوا ثلاثة من أبناء الملك الشبان المأسورين بعد ما أعطوهم الأمان والعهد والميثاق، بهمجية وقساوة امتعض منها كثير من الإنجليز وقد شنقوا ثلاثة وعشرين من أبناء الأسرة الملكية، وأهانوا الملك وحاكموه محاكمة مهينة ذليلة، وكانوا حريصين على قتله أشنع قتلة إلا أن ضابطاً منهم كان قد وعد أن يحافظ على حياته، ليسلم نفسه إليه فحكموا عليه بالنفي المؤبد إلى "رنجون" حيث مات طريدا وشريدا مقترا عليه في الرزق مضيقا عليه. ودخلت الجيوش الإنجليزية في دهلي فكان تفسيرا لقوله تعالى "إن المُلُوكَ إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة"[14] (النمل 34)

وقد بدأت الحكومة الإنجليزية تنظر إلى المسلمين بنظرة الشك والحقد وحرموهم من الوظائف الحكومية من ناحية، ومن ناحية أخرى أثارت مواطني الهند من غير المسلمين ضد المسلمين فتضاعفت البلية وازدادت النكبة، وبذلك وقع المسلمون في الدرك الأسفل من الانحطاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

---

[14]. أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، ص: **166–167**

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"أنّ الوظائف الفلانية لاتقبل فيها إلا الهنادك. إنّ المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة فإنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي".[15]

كما لم يألل الإنجليز جهداً في القضاء على الدين الإسلامي والشريعة المحمّدية، واستئصال ثقافة المسلمين وحضارتهم، فصادروا جميع الأوقاف والعقارات والإقطاعات التي كانت تُمِدُّ المدارس الإسلامية بالحياة، وعملوا على تجفيف منابع العلم والحكمة والتعليم والتربية حتى يتحول المسلمون مع الأيام جُهّالاً ويسهل صوغُهم في بوتقة المسيحية المحرفة. فأنشأوا مدارس في المدن والأرياف على أسس النظام الغربي، تهدف إلى تعليم الصغار والضعفاء، وتلقينهم ديانة الإستعمار وحضارته في زيّ التعليم والثقافة. ولم يألوا جهداً في القضاء على العلوم والمعارف السائدة آنذاك.[16]

---

[15] المسلمون في الهند، ص: **174**

[16] الثورة الهندية، مطبعة المدينة، بجنور، ص: **356–357**

وفرضت الحكومة الإنجليزية النظام التعليمي الجديد على بلاد الهند وهو كان يختلف تماما عن النظام التعليمي السائد آنذاك، فيصف المستر "دبليو دبيلو هنتر" (William Wilson Hunter)

إنّ منهجنا التعليمي لايتضمن شيئا من التعليم الديني بل يعارض مصالح المسلمين تماما".[17]

فلم يكن الهدف من هذا النظام التعليمي الذي فرضها الإنجليز على الهند إلاّ تنصير أهاليها، وخاصة المسلمين، والقضاء على معنوياتهم، وإبعادهم عن تعاليم الدين الحنيف تدريجيّاً.

وهذا المنهج التعليمي الإستعماري الجديد في الهند قد قضى على وحدة المسلمين العلمية والعملية أيضا. وأثرت سلبياته في كل شيء في حياتهم بدءاً من عقائدهم وأفكارهم، وانتهاء إلى مواقفهم وأدوارهم. وسدّ المنهج الدراسي الجديد أبواب الوظائف الحكومية للمسلمين، فعانوا عناءً اقتصادياً ومعيشياً إلى أقصى الحد، وطلبت هذه الأوضاع العصيبة حركة وجهودا تزيل العقبات التي فجعت بحياة المسلمين، وهددت كيانهم.

---

[17] ہمارے ہندوستانی مسلمان، ص: **252**

ومما لاشكّ فيه أنّ ثورة التحرير الهندية 1857م قد أثرت على حياة المسلمين في كل نواحي حياتهم للغاية، وكان تأثيرها عميق الجذور وبعيد المدى، وذلك لأن الإنجليز قد قضى على النظام الإسلامي للتعليم والتربية، وأحرقوا بيوت المسلمين، ونهبوا أموالهم، وأراقوا دماؤهم. فقد تأخر المسلمون تأخراً واضحاً عن زملائهم في الوطن في شتى المجالات بما فيها المجالات العلمية والثقافية والإقتصادية في الهند، وهم كانوا سادة البلاد وقادتها أمس وأصبحوا الشعب الذي كان نصيبه أكثر من نصيب كل شئ في البؤس والشقاء والحرمان. فكانت هذه الفترة فترة يأس وابتلاء واضطهاد مرير بالنسبة للمسلمين.

الفصل الثاني

نشأة دارالعلوم ديوبند

إنّ جامعة دار العلوم ديوبند هي أكبر وأعرق مؤسسة إسلامية أهلية في شبه القارة الهندية، فهي أم الجامعات والمدارس الإسلامية وفي طليعتها، ولها فضل السبق على مثيلاتها، فالمدارس الإسلامية في الهند وخارجها من بلاد باكستان وبنجلاديش والبلاد المجاورة لها تتبعها منهجاً ونظاماً ومازالت تُنشأ في مشارق البلاد ومغاربها على غرار الجامعة حتى بلغ عددها الآن آلافا من المدارس، فإن هذه المدارس الإسلامية يرون فيها نموذجا رائعا وحقاً تلقب هذه الجامعة بأزهر الهند.

يقول الشيخ أبو الحسن على الندوي عن دار العلوم ديوبند.

" إن أكبر معهد ديني في الهند وأكبر جامعة إسلامية وأكثرها طلاباً وأقساماً وأوسعها نطاقاً إفادةً شهرةً في "جامعة ديوبند" التي تُعرف في شبه القارة الهندية بدار العلوم ديوبند" وهي التي تلقب بـ أزهر الهند وجاز توصيفها وتسميتها بذلك من كل وجه، بل هي تفوق الجامع الأزهر بمصر من بعض الوجوه والنواحي".[18]

[18] محمد عبيدالله الأسعدي، دارالعلوم ديوبند، ص: 89

خلفية تأسيس دار العلوم ديوبند

وفي ثورة عام 1958م الدامية سقطت الهند رأساً في يد الإستعمار البريطاني واستتبت الإمرة له، وطوى بساط الهند السياسي، وقضى على مرجعيتها فصب الإنجليز أنواعاً من العذاب والتنكيل على أهل الهند لاسيما المسلمين بسبب ضلوعهم في الجهود الرامية إلى تحرير البلاد عام 1857م 1246هـ، وانتقموا منهم انتقاماً شديداً وبطشوا بهم بطشاً عنيفاً لأنهم كانوا قوادا وزعماء لثورة التحرية الهندية وكانوا بمثابة الشوكة في جنب المستعمر، لذا اضطهد المسلمون بعد فشلها وأصبح أمرهم في الهند في هرج ومرج شديد، وكاد اليأس أن يستولى عليهم وكادوا أن ينجرفوا آخرهم مع تيار الحكومة المسيطرة ويصبحوا عرضة لمخططاتها الهدامة ومؤامراتها الخبيثة التي نسجتها بحيطة بالغة وفي غاية من السر والخفاء، ومن أخطرها ما قد خطته الحكومة البريطانية للقضاء على أمجاد الإسلام الماضية ومحو الثقافة الإسلامية وتبعيد الجيل الناشئ المسلم عن معتقداتهم وديانتهم وتقاليدهم، وصوغ الذهن الجديد بصبغة الأفكار الغربية الملحدة عن جادة الدين الحنيف.

فبعد قيام الحكم البريطاني أغلقوا المدارس والمعاهد الإسلامية القديمة في "دهلي" و"لاهور" و"آكره" و"جونفور" وغيرها من المدن في غوجرات و"بهار" و"بنغال" و"مدراس"، وذلك لأنها كانت تعتمد في بقائها ونشاطاتها على المعونة المادية من الأوقاف والمؤسسات الخيرية التي كانت وقفها عليها الحكام والأمراء والإقطاعيون المسلمون، وتوقفت تلك المعونة حين صادر الإنجليز جميع الأوقاف والأراضي والإقطاعات التي كانت تمدّ المدارس الإسلامية بالحياة وعملوا على تخلف المسلمين وتعطيل مسيرتهم الحضارية، والقضاء على الآثار الإسلامية من المعاهد والمدارس وحلقات الدروس التي كانت هي بمثابة الينابيع المتفجرة للعواطف الإسلامية والحمية الدينية. وعلى ذلك قد نصبت الحكومة البريطانية شبكة من المدارس المسيحية وأقامت جمعيات تبشيرية ومراكز للدعوة المسيحية في مختلف أنحاء البلاد يلقى فيها التعليم في ضوء الدين المسيحي وعلى المنهاج الغربية الذي كانوا قررته للأولاد والضعفاء.

ولم تكن هذه المدارس في الحقيقة إلا ذريعة من ذرائع غرس الحب في قلوبهم للدين المسيحي ونشر التعليم الغربي في المسلمين، وردهم عن ديانتهم وعقائدهم ومعالم ثقافتهم التي توارثوها أبا عن جد، إذ كان الإنجليز قد أيقنوا

أنه لايستتب أمر الحكم والقيادة في هذه البلاد مادام المسلمون راسخي العقيدة أقوياء الإيمان متمسكين بشعائر دينهم، فقاموا بجميع ما أوتي من دهاء وقوة لهدم صرح الإسلام وقطع علاقة المسلمين عن تراثهم المجيد وردهم من الإسلام إلى المسيحية، وللزيادة فيها أخذ المستعمرون يبذلون أقصى جهودهم لدعم كل حركة معادية للإسلام تعمل للقضاء على الدين وإضعاف قوة المسلمين بعد إبعادهم عن الدين: ومنها حركة آريا سماج وفتنة القاديانية وأهل التشيع وفرقة النياجرة وما إلى ذلك، وكان ذلك أقوى سياسة للاستيلاء على البلاد عن طريق الغزو الديني والثقافي. فشنت هذه الدعاة المعادية للإسلام حملة شعواء لتخديش وجه الإسلام وتشويه صورته لإضعاف تأثيره بكل طريقة ممكنة وكثرت هجماتها على الإسلام التي كانت لهم صوتها مع صوت التبشير المسيحي في أغلب الأحايين؛ فالباطل يلتقي دائما مع الباطل على النقطة المركزية.

بعد ما حصل كل ذلك، أصبح المسلمون بالنسبة إلى الاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم كالغنيم في الليلة المطيرة الشاتية حيث لايدرون ماذا يفعلون وكيف يعيشون وقد أقلقت هذه الظروف العصبية علماء الإسلام وقادة سفينة الإسلام والمسلمين في الهند، وجعلتهم يتقلبون على أحر من الجمر فهبوا يبحثون عن

حيلة تضمن الحفاظ على الإسلام وهوية المسلمين في هذه البلاد، فكروا وفكروا في جميع الطرق التي كان من شأنها أن تساعدهم على عملية الإبقاء على الكيان الإسلامي والحفاظ على التراث الإسلامي والدين الإسلامي الحنيف حتى تقررت لديهم يومئذ فكرة أساسية هي أن تُنصب شبكة المدارس والكتاتيب والمعاهد التعليمية الدينية الأهلية السائرة بتبرعات الشعب المسلم التي تَضخّ الدماء القانية الزكية في عروق الأمة الإسلامية الهندية، ورأوا أن ذلك هو وحده الطريق الأنجح إلى الحفاظ على الإسلام والمسلمين في هذه البلاد في هذه الظروف العصبية؛ حيث ستنشر بذلك علوم الكتاب والسنة والتعاليم الدينية والأخلاق الإسلامية ويستمر بقاء المسلمين على هويتهم وثقافتهم رغم مساعدة الظروف واشتداد المحن.[19]

وكان على رأس العلماء الربانيين الشيخ محمد قاسم النانوتوي (ت 1297هـ 1879م) الذي أسس بتعاون من رفقاءه ومشورتهم أمثال: الشيخ ذو الفقار على الديوبندي (ت 1322هـ/1904م) والمحدث الفقية رشيد أحمد الكنكوهي (1323هـ/1905م) الحاج محمد عابد (ت 1331هـ/ 1912م) والشيخ فضل الرحمن

[19] ملخص من تاريخ دار العلوم ديوبند، ج 1، ص: 148–149

العثماني (ت 1325هـ/ 1907م) أول مدرسة دينية صغيرة من هذا القبيل في قرية ديوبند بدلا من مدينة دهلي يوم الخميس 15 محرم الحرام 1283هـ 30 مايو 1866م.

بفضل هذه المدرسة التي سميت أولا لدى تأسيسها تسمية بسيطة بإسم المدرسة الإسلامية العربية المعروفة الآن بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند. طبق صيت القرية "ديوبند" خلال أيام قليلة أرجاء الهند حتى تجاوز إلى البلاد النامية حتى أصبحت الآن معروفة أكثر بكثير من كثير من المدن الرئيسية في الهند وهي تقع على بعد حوالي 92 ميلا (150 كم) من دهلي عاصمة الهند.

قد بدأت الدراسة في فنا مسجد أثري صغير يعرف بمسجد "تشته " في ظل شجرة رمان بكل بساطة. وكانت المدرسة بذاتها مدرسا واحدا واسمه الملا قاري محمود الذي كان من أساطين العلم والفضل، وتلميذا واحدا كان هو اسمه محمد حسن الذي اشتهر فيما بشيخ الهند والذي قاد حركة تحرير الهند بشكل أثمر الاستقلال (ت 1339هـ/ 1920م).

ومن الغريب أن المدرس والتلميذ اسم كل واحد منهما كان محمودا ولم يكن ثمة أسباب مادية تعتمد عليها الجامعة وقتئذ فقامت بتبرعات شعبية وأكد

مؤسسو هذه الجامعة على أن تعتمد على تبرعات الشعب المسلم وحده ولاتأخذ أي معونة من الحكومات والحكام، وذلك لتؤدي دورها في حرية وتكون على اتصال د ائم بالشعب المسلم وتؤفر التعليم لجميع طبقاته. ولابد أن تسير بتبرعات يتبرع بها الشعب المسلم مما كسبه بكد يمينه وعرق جبينه. ولذا تم تدشين هذه الجامعة بدون أي رسميات أو احتفالات ولاتزال تعمل بهذه الفكرة ذات بُعد صحيح ليومنا هذا.

وعرفت هذه المدرسة فيما بعد بدار العلوم/ ديوبند وقد بارك الله فيها منذ اليوم الأول فشهدت خلال سنوات قليلة تقدماً مثالياً لايعرفه التأريخ لأية مؤسسة إسلامية في الهند ووضع لها القبول والحب والاحترام مالم تحظ به أية مدرسة دينية في شبه القارة الهندية أنشئت لإنهاض المسلمين دينياً وفكرياً واجتماعياً وثقافياً حتى صارت اليوم علامة بارزة لشخصية المسلمين الدينية وهويتهم الإسلامية في هذه البلاد. ومنها انبثقت نور العلم والحكمة والفكر وتفجرت ينابيع الإصلاح والدعوة والثقافة التي سادت البلاد الدانية والقاصية كما أن هذه المؤسسة التعليمية التي أنشئت بدموع الإخلاص الزكية لعباد الله الصالحين تركت بصمات علمية في المجتمع الهندي عامة والشعب المسلم خاصة

في أرجاء العالم، إن المدرسة كانت بدايتها بطالب وأستاذ واحد في مكان متواضع اعتماداً على الله وثقة بنصرته ترقت وامتدت بسرعة مدهشة.

وفي زمن قليل تحولت إلى جامعة إسلامية كبرى في شبه القارة الهندية على الإطلاق بكثرة طلبتها وسعة مبانيها وحسن إدارتها وفخامة مكتبتها وأسلوب دراستها فى العلوم الإسلامية والعلوم المتعلقة، وقدأقبل عليها فى مدة قليلة ألاف من طلبة العلوم الدينية من قاصى البلاد ودانيها بل من البلدان الخارجية وارتوى منها عددمن عطشى العلوم لايحصى.

فقد بذلت هذه الجامعة عنايتها نحو تخريج علماء ربانين ومجاهدين جريئين وزعماء السياسية لسد حاجات الأمة الأسلامية فى دينها وعقيدتها واجتماعها وسياستها، وصدّ الإعتداءات، وكف التيارات الجارفه. وأوجدت رجالاً أكفاء تقتضيهم الأزمان للصمود فى وجه دولة الإستعمار التي كانت لاتغرب عنها الشمس، والتي كانت قد قرّرت أن تستأصل بنيان الإسلام وثقافته في هذه البلاد. وبالتالي أصبحت تلك الشجيرة البسيطة المتواضعة دوحة عظيمة للعلوم الأسلامية والثقافة الدينية وأعظم منبع الكتاب والسنّة يجرى بدون انقطاع مند قرن ونصف قرن.

أهداف تأسيس دارالعلوم ديوبند:

قد كان من أهداف دارالعلوم بديوبند التى من اجل تحقيقها أسّست، هو استعادة مجد المسلمين الغابر، واسترجاع الحكم المغضوب، والحفاظ على العقائد الإسلامية والعلوم النبويّة بكل شعبها ونواحيها، ودحض كل نوع من التقاليد الغير الإسلامية والطقوس الباطلة والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره عن طريق التعليم والإرشاد النبوىّ. وقدجاء ذكر الأهداف التى كانت وراء نشأة الجامعة فى الدستور الأساسي القديم بما يلى:

1. تعليم القرآن الكريم والسنّة والتفسير والعقائد وعلم الكلام والعلوم المفيدة التى لابدّ منها لكونها وسيلة إلى تلك العلوم العالية وتزويد المسلمين بأحكام الدين كاملة، وخدمة الأسلام عن الدعوة و الإرشاد.

2. تربية الطلاب على الأعمال والأداب والأخلاق الإسلامية واشتغال روح الدين فى نفوسهم.

3. تبليغ دعوة الله إلى الناس ونشر الإسلام وصيانة والدفاع عنه عن طريق الخطابة والكتابة، وحث المسلمين على التحلي بالأعمال والأخلاق والعواطف الدينية التى كان عليها السلف الصالح.

4. محاولة الابتعاد عن تدخّل الحكومة وتجنب ضغوطها وتأثيراتها، والحفاظ على حرية العلم والفكر.

5. إنشاء شبكة المدارس والمعاهد والكتاتيب الدينية العربية فى مختلف الأصقاع والأكناف لنشر العلوم الدينية وضمّها إلى دارالعلوم.[20]

وإنّ دارالعلوم ديوبند التى أسسها نخبة من عباد الله الصالحين لهذ الأهداف والأغراض التي وضعتها نصب عينها عملت على تحقيق أهدافها بكل جدية ونشاط ولم تغفل لحظة واحد عن الحصول عليها. فنفخت روح الإخلاص والعمل فى صدور المسلمين، وأبقت على الإسلام فى هذه البلاد وخدمت علوم الكتاب والسنة خدمة مثالية قلما يوجد لها نظير وخرّجت نوابغ في فن التفسير والحديث وعلوم الشريعة وأعدّت رجالاً مؤهلين لدحض البدع والخرافات والعقائد والطقوس الباطلة. وقد أنجبت أبطالاً في كل مجال من مجالات التدريس والسياسة، وقادت المسلمين فى شبه القارة الهندية قيادة دينية وعلمية وثقافية وفكرية وأصحبت رمز شوكة الإسلام وعزّ المسلمين.[21]

---

[21] تاريخ دارالعلوم ديوبند، سيد محبوب رضوى. ج 1، ص: 142

مؤسس جامعة ديوبند

أمّا مؤسس دارالعلوم ديوبند فهو الإمام الكبير الشيخ حجة الاسلام في الهند، العالم الكبيرمحمد قاسم بن أسد علي النانوتوي أحد العلماء الربانين العظام والمفكَر الإسلامي العبقري الفريد في عصره.

وُلد الشيخ في قرية نانوته بمديرية سهارنفور بولاية أترابراديش الهند سنة 1248ه ويتصل نسبهُ بسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ، وقد رزقه الله من الذكاء والفطنة ما يبهر الألباب، فقد كان له شأنٌ في طفولته قلما يكون في الأطفال. تلمذ على الشيخ مملوك علي النانوتوي (ت عام 1268ه / 1851م) و أتم قرأة جميع الكتب الدراسية عليه وأخذ الحديث عن الشيخ شاه عبد الغني الدهلوي (ت سنة 1296ه) والمحدث الكبير أحمد على سهارنفورى (ت 1297ه) ثم اشتغل ببعض الوظائف منذ خروجه من جو المدرسة طلباً للمعاش ولكن نفسه الطموح لم ترض بذلك، فاشتغل بالتدريس والتعليم بالكلية العربية الشهيرة بدهلي حينا من الزمان غير أنه لم ينل بغيته في ذلك أيضاً بحكم منصبه الكبير الذي كان قد قيّضه الله له.

كان هو عالماً ربانياً وزعيماً بارزاً وعابداً كبيراً ومناظراً بارعاً. له مشاهدة عظيمة في المباحثة مع المسيحيين والطائفة الآرية من الهندوس، من أشهرها المناظرة التي عقدت في قرية "تشاندابور" بمديرية شاه جهان فور في ولاية أترابراديش، فقام بالمناظرة مع أحبار النصارى وعلماء الهنادك أكثر مرات فهزمهم هزيمة شنيعة بدلائل قوية وحجج لايسعهم إنكارها. وللشيخ في هذه الناحية مواقف غراء كثيرة معروفة في التاريخ.

ولهُ مؤلفات علمية دقيقة وبديعة تبلغ زهاؤها ثلثين تدل على توسع علمه وعمق تفكيره ودقة نظره في دقائق العلم ومعارف الكتاب والسنة[22]، كما أنّه قاد الثوره العارمة ضد الاستعمار الإنجليزي الغاشم فكان الشيخ محمد قاسم النانوتوي قائد قوات المسلمين في ساحة "تهانه بهون وشاملي" حيث وقعت معركة حاسمة بين المسلمين والإنجليز، وقد أبلى الشيخ فيها بلاءً حسناً سجله التاريخ بحروف ذهبية قد ذكرناه سابقاً. ولما أخفقت ثورة 1857 لأسباب مؤسفة ولم يعد للمسلمين طريق يضمن لهم الاستقرار والثبات على دينهم والبقاء على الملة الحنيفة البيضاء فبدأ العلماء وعلى رأسهم الشيخ النانوتوي بحركة عامة

[22] مجلة الداعي عدد خاص، مارس و ابريل 1980م، ص: 47

لنشر التعليم الديني والثقافة الإسلامية في المسلمين عن طريق إنشاء المدارس والمعاهد الدينية التي تعتمد على تبرعات الشعب المسلم. وحقق فعلاً هو وزملائه فكرة تأسيس مدرسة كبيرة في ديوبند لتكون معسكراً منيعاً للإسلام وثقافته وحضارته ومركزاً قويّاً لتوجيه الشعب المسلم كما ذكرناه من قبل.

كما أنشأ عديدا من المدارس في مختلف الأمكنة، منها الجامعه القاسمية مدرسة شاهي بمدينة مراد آباد لولاية أترابراديش ومدرسة منبع العلوم في قرية كلاؤتهي بمديرية بلاند شهر لولاية أترابراديش وكتاتيب أخرى في كل من كيرانة وتهانه بهوان بمديرية مظفرنكر ومدينة ميروت. وبذلك بدأ الشيخ محمد قاسم النانوتوي حركة حيّة شاملة لإنشاء المدارس والمعاهد الدينية حفاظاً على التراث الإسلامى والمسلمين في هذه البقعة من العالم التي تعرف بشبه القارة الهندية.[23]

وقد توفي في 49 من عمره يوم الخميس 4 من جماد ى الأولي سنة 1297ھ ودُفن في قطعة أرضية عرفت فيما بعد بالمقبرة القاسمية التي تقع في الجانب الشمالي الغربي من دارالعلوم بديوبند. فرضى الله عنه وأرضاه.

[23] مجلة الداعي، مارس إبريل 1978 ص: 5

حركة الرسائل التحريرية ومولانا محمود حسن الديوبندي

الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندى ابن الشيخ العالم الأديب شاعر العربية ذوالفقار علي الديوبندي (ت 1904م) هو نابغة الأنام الذي خلّد مأثره تاريخ الهند الديني، كان هو على رأس الدفعة الأولى من الطلاب التى التحقت بالمدرسة الإسلامية العربية التى صارت الآن جامعة إسلامية فريدة فى العالم إسمها دارالعلوم بديوبند.

ولد فى سنة 1368ھ بمدينة بريلى بولاية أترابراديش، وتلقى الدروس الإبتدائية من عمه ثم التحق بدارالعلوم فى وطنه ديوبند التى كانت فى طور البداية واجتاز المراحل الثانوية من تعليمه وتخرج منها عام 1873م وبعد ذالك وُلّي التدريس بالدار نفسها وصار فى 1308ھ شيخ الحديث فيها وبات رئيس هيئة التدريس بها إلى أربعة وأربعين سنة.

كان الشيخ محمود حسن رحمه الله عالماً جليل الشان عظيم المنزلة رفيع المكانة فى العلم والتقوى وكثير التواضع وشديد البغض لأعداء الإسلام، ومربّياً روحيا عظيماً وبطلاً مكافحاً عن مجد الإسلام مجاهداً متحمساً. وكان هو فى

مقدمة العلماء الغيورين الذين عاشوا فى منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجاهدوا لاستيعاد مجد المسلمين.

أما الجانب الذى امتاز به العلامة محمود حسن بين العلماء والأئمة المجتهدين فهو كان أعلم العلماء واكثرهم ملكة فى الحديث والفقه وأصولهما ونصوصهما وأوفقهم فى غزارة مادته وتوسع أفاقه ونفاذ بصره بل كانت عبقريته تفوق كافة في العلم والفكر كافة أقرانه وأمثاله. ولقّبه الشعب المسلم الهندي بشيخ الهند وكان يُعرف بهذا اللقب فى هذه البقعة الواسعة من العالم. ويقول العلامة عبد الحي الحسني عنه:

" كان مولانا محمود حسن آية باهرة فى علوم الهمة وبعد النظر والأخذ بالعزيمة وحب الجهاد في سبيل الله، قد إنتهت إليه الإمامة فى العصر الأخير فى البغض لأعداء الإسلام والشدة عليهم مع ورع وزهادة وإقبال إلى الله بالقلب والقالب والتواضع والإيثار على النفس وترك التكلف وشدة التقشف والإنتصار للدين والحق، و قيام فى حق الله وكان دائم الابتهال قوي التوكل، ثابت الجأش،

سليم الصدر، جيد التفقه، جيد المشاركة فى جميع العلوم العقلية والنقلية، مطلعاً على التاريخ، كثير المحفوظ فى الشعر والأدب، صاحب قريحة فى النظم"[24]

كان العلامة محمود حسن يضطرم غيظاً على الإنجليز وكل ما يمت إلى الإستعمار الغاشم بصلة، دائم التألم لأوضاع المسلمين كثير الاهتمام بمطاردة الإنجليز. قد وضع خطة سياسية لتحرير الهند من مخالب الإستعمار الإنجليزى عام 1905م بالقوة العسكرية.

وقد هيّأ صفوة من تلاميذه تحمل الإيمان القوى والرغبة والثقة بالنفس والتوكل على الله ودقيق النظر وعزيم الإرادة وكان من بينها مولانا عبيد الله السندى وبركت الله بهوبالي، ومحمد ميان منصور الأنصاري وكلهم كانوا قد هاجروا إلى كابول لتحقيق خطة شيخهم وأنشأ حكومة مؤقتة فى كابول عام 1915م. قدبدأ تبادل المعلومات بينه وبين تلاميذه وأصحابه المناضلين عن طريق إرسال الرسائل التى كانت تُكتب على الحرير وكانت هذه الرسائل لايمكن فهم محتوياتها إلا بطريق تقنية، ومن هنا عُرف هذا النضال ضد الإستعمار بإسم "حركة الرسائل التحريرية"، وبما أن بعض الرسائل التي تم بها الإتصال بين رموز الحركة

[24] عبدالحى الحسنى، نزهة الخواطر، ج 8، ص: 465-468

كانت مكتوبة على قماش من الحرير الأخضر فسميت الحركة بحركة الرسائل التحريرية.

ثم شارک فی هذا الحرکة العلماء والمجاهدون في شتى أماكن الهند للقضاء على الحكم الإنجليزى فى الهند وبالتالى في سائر المستعمرات البريطانية وذلك باستخدام القوة. وكان الشيخ محمود حسن أنشأ تسعة مراكز سوية فى كل من دهلى، وكراتشي وأتمان زي وراندير والأماكن الأخرى داخل شبه القارة، وذلك للتدريب العسكرى وتحريض جنود الإنجليز على الثورة، وتهيئة المناخ للإنتفاضة الشاملة داخل البلاد. كما أنشأ خمس مراكز في تركيا وبرلن وقسطنطنية والمدينة المنورة وأنقره لحث بعض الدول الخارجيه على إثارة نار الحرب وللحصول على التأييد المعنوي والدعم العسكري من بعضها،كما أرسل الشيخ محمود حسن خمس بعثات إلى فرنسا واليابان والصين والولايات المتحدة الأمريكية لحمل هذا الدول على تأييد الشعب الهندي وكانت تركيا هى معقد الأمال في القيام بالحرب ضد الإنجليز.

حيث كان قائد الحركة محمود حسن يودّ أن يستعين بهذ الدول لاسيما الخلافة العثمانية. لتنفيذ هذه الخطة المهمة فأرسل تلميذه العبقري ذا العقل

السياسى المحنّك الشيخ عبيد الله السندهى إلى كابول وتوجّه بدوره إلى إستانبول ثم الحجاز، واجتمع بغالب باشا وقائد قوات تركيا أنور باشا وجمال باشا وغيرهم، وأقنعهم واتفقوا معه على موعد بداية الحرب ضد الإنجليز ووضعت خريطة الحرب الحاسمة ورضيت ألمانيا كذلك بالمساعدة معه لكونها حليفة لتركيا، وتم ذلك في خلال خمسة عشرة سنة.

لاشك أنّ هذه الفكرة كانت صائبة حكيمة جدّا غير أنها باءت بالفشل من أجل انهزام تركيا في الحرب العالمية الأولى وخيانة بعض من وثق بهم شيخ الهند. والجدير بالذكر أن المتحف البريطاني يحفظ الوثائق وتقارير مخابرات الحكومة البريطانية بكامل تفاصيلها عن هذه الخطة وقد نشرت تلك الوثائق باللغة الأردية.

ثمّ سافر الشيخ محمود حسن إلى الحجاز عام 1915 م وفي المدينة المنورة رجال الحكومة العثمانية، فأكدو له بكل دعم مالي وعسكري، وكاد الأمل يتحقق وظهرت بارقة نجاح المهمة ولكن من سوء الحظ اطلعت حكومة الإستعمار الإنجليزى على الرسائل الحريرية فأسر شيخ الهند وأصحابه من بينهم السيد حسين أحمد المدني عن طريق الشريف حسن بن علي أمير مكة الذي خرج على

تركيا وتحالف مع الإنجليز، واعتقلوا في مالطا وبقوا في السجن ثلثة سنوات وشهرين،[25] وأطلق سراحهم في يناير 1920م. ولما وصل الشيخ محمود حسن إلى الهند استُقبِل في كل مكان استقبالاً حاراً لم يعهد الناس مثله.

بعد سراحه من سجن مالطا لم يستجمّ في وطنه ديوبند بل رغم كبر سنه وضعفه ومرضه ظل يجول في أرجاء البلاد يدعو الشعب إلى النضال ضد الإستعمار البريطانى ومقاطعته من خلال محاضراته وخطبه، واستمر فى نفس المهمة حتى استأثرت به رحمة الله فى نوفمبر 1920م في دهلي حيث كان يتلقى العلاج ونقل جثماته إلى ديوبند فى اليوم القادم ودفن فى المقبرة الجامعيّة التي عُرفت بالمقبرة القاسمية.

ومن أبرز تلامذته العارف الكبير والمربي العظيم الشيخ أشرف على التهانوى، والعلامة المحدث أنور شاه الكشميري، والعالم الكبير شبير أحمد العثماني، والشيخ عبيد الله السندهي والشيخ حسين أحمد المدني، والعلامة مناظر أحسن الكيلاني والشيخ المجاهد منصور الأنصاري غازي وأخرون الذين

[25] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، ص: **162**

قاموا بدور عظيم في خدمة العلم والدين و كانت لهم مواقف رائعة فى مقاومة الإستعمار البريطانى.

وهذه، إنّ من أعماله الكبيرة هو نقل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية هى تعد من أحسن التراجم الأردية وأكثرها قبولاً ورواجاً بين المسلمين والأوساط العلمية، وقد قام مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بطباعة هذه الترجمة مع التفسير عام 1989م بعدد مئات الآلاف وتوزيعها على المسلمين في العالم.

دارالعلوم وأثرها فى المجتمع الإسلامي

إنّ دارالعلوم مدرسة فكرية شاملة ودعوة إصلاحية عامة ولم تزل أعظم مركز شعاع الاسلام في شبه القارة الهنديه بل في كثير من قارات العالم. بارك الله فيها بركة دائمة ووضع لها قبولاً حسنا ونفع بها المسلمين. فقد عمّ فضل هذه المدرسة وطم وطارت شهرتها شرقا وغرباً حقاً هذا الدار كانت ولاتزال مفخرة من مفاخر الهند والمسلمين وقلعة منيعة للإسلام.

وماكان مضى على دارالعلوم إلا أعوام عديدة تقاطرت إليها قوافل العلوم الإسلامية ورواد المعارف النبوية من كل فج عميق مثل افغانستان وباكستان وروسيا والصين وأستراليا وجنوب آمريكا وإنجلترا وبورما وماليسا وإندونيسا والعراق وإيران وجنوب أفريقا وسرى لنكا وزامبيا والعربية السعودية واليمن.

وقد تخرج منها عدد هائل يعدو آلافا من العلماء الربانين والمجاهدين والمبلغين والمصلحين والمرشدين وزعماء السياسة وفضلاء الأمة الذين هم درر لامعة في جبين الأمة الإسلامية، وانتشروا في العالم يرفعون لواء الإسلام و يبلغون رسالة الله وينشرون الثقافة الإسلامية في غالب أقطار العالم. وهذا شئ لم يتهيّأ لأحد من المعاهد الدينية في أنحاء البلاد وخارجها على غرار الجامعة دارالعلوم

ومازالت تُنشأ في مشارق الأرض ومغاربها حتى بلغ عددها الأن آلافا من المدارس بحيث لايجد قرية من القرى مهما كانت صغيرة ومتواضعة إلا وفيها مدرسة دينية لطلبة المسلمين، وفي كثير من القرى والمدن عدة مدارس كبيرها وصغيرها ومعاهد علمية ومكاتب تزخر بالكتب الدينية والمنشورات الإسلامية، وهذه المدارس والمعاهد كلها تتبع المنهج التعليمى والإداري لدار العلوم بديوبند فجلّ المدارس أسمت نفسها دارالعلوم وإليها تنتسب وبها تفتخر. وتعتمد على فتاواها وتوجيهاتها الدينية والاجتماعية حتى السياسية إذا صدرت منها.

إنّ العلماء المتخرجين من دارالعلوم بديوبند قاموا ويقومون بخدمات ممتازة وبنشاطات متنوعة في الريادة الدينية والمجالات الاجتماعية والسياسية بالإضافة إلى تأدية الخدمات متعددة الجوانب كالتدريس، والإفتاء والقضاء، والدعوة والإرشاد، والصحافة والتأليف، والخطابة والإمامة، والبحث العلمي والقيادة العامة كما أنهم أيقضوا المسلمين بعد ماكانوا في سبات عميق وأحدثوا فيهم الروح العلمية والغيرة الإسلامية وعرّفو الناس بتعاليم الإسلام الصحيحة الخالية من شوائب الوثنية والبدع والخرافات والرسوم والخزعبلات فكان لهم- المتخرجين في دارالعلوم ديوبند- تأثير كبير في محو البدع والطقوس الباطلة

والأضاليل، والدعوة إلى الدين، وبث التوعية الإسلامية، والرد على أهل الضلال. فنرى أنّ هذه العلماء المتخرجين الذين تابت على أيديهم مئات ألوف من الناس، وصلحت حالهم بواسطتهم واعنتق الكثيرون من غير المسلمين الإسلام للتأثر بسيرتهم وأخلاقهم المطبوعة على سنة الرسول ﷺ.[26]

ملخص القول: إنّ دارالعلوم ديوبند قد خرجت علماء الإسلام وأئمة الدين ورجال الفكر والدعوة ورواد الحركات الذين قاموا بدور عظيم في تاريخ الاسلام ولعبوا دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية والعقيدة الصافية في بيئات المسلمين عن طريق التعليم والصحافة والتأليف والإرشاد. فغيروا مجرى حياة المسلمين فى الهند وماجاورها من البلاد وأثروا فيها أثراً قوياً بالغاً مباشرة وغير مباشرة.

ولقد كان- ولازال في الواقع –شعار هذ الدار والصفة المميزة لها، هى المحافظة على الشعائر الإسلامية، وإتباع طريقة السلف الصالح وتقليدهم تقليداً صارماً مع الدفاع عن السنة النبوية بكل رغبة وشدة، والحث باتباعها في الحياة، ولاتزال الدار تؤدى وظيفتها إلى اليوم باستمرار.

---

[26] مجلة الداعى، العدد، 4–5، مارس ابريل 2011م، ص: 82–83

الفصل الثالث

النظام التعليمي والمنهج الدراسي لدارالعلوم ديوبند

والمنهج الدراسي لدارالعلوم ديوبند

نظراً للظروف العصبية والأوضاع العسيرة التي كانت توجه خطراً كبيراً للعقيدة الإسلامية والشعائر الدينية اقتضت هذه إنشاء معهد تعليمي وإسلامية ليكون صرحا منيعاً ومرجعا فكرياً لصيانة عز المسلمين والإسلام في هذه البقعة من العالم وليتخرج فيه دعاة وعلماء مخلصين أكفاء متضلعين بأسلحة علمية جامعين بين العلم والعمل فأسّست دارالعلوم فى سنة 1866م بعد ماقضى الإنجليز نهائياً على الحكم الإسلامية ولفظت المدارس الإسلامية أنفاسها الأخيرة بعد فشل ثورة عام 1857م فى الهند. واتخذت مؤسسوها خطة تعليمية تحقق الأهداف التى تتوفاها فى التعليم والتربية والمحافظة على مظاهر الإسلام فى الهند إما بوجه مباشر أوغير مباشر. لأنّ الحكومة الإنجليزية قد فرضت نظامها التعليمى فى المدارس والمعاهد الذى كان يختلف تماما عن النظام التعليم السائد آنذاك، وكان يهدف ذلك إلى تنصير أهالي الهند، خاصة المسلمين وتلقينهم ديانة

الإستعمار وحضارته فى زي التعليم والثقافة ولم يألوا جهدا في القضاء على العلوم والمعارف السائدة في ذلك الحين.[27]

وعلى ذلك قد وضعت دارالعلوم منهجاً دراسياً أفضل يمتاز بقوة المادة والمعنى حيث يتسلح الطالب بكثير من المعارف الإسلامية والعلوم الدينية في مدة يسيرة، استفادت في وضعه من المناهج الدراسية القديمة المتداولة في دور العلم ومراكز الثقافة في الهند، ولها أهمية كبرى في حياة المسلمين التعليمية، فأخذت في منهجها الحرص الزائد على تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي من مدرسة الشيخ الجليل الشاه ولي الله الدهلوي، والعناية البالغة بالفقه الإسلامية والأصول من مدرسة فرنكي محل بلكناؤ التى أسّسها الشيخ نظام الدين ووضع فيها المنهج النظامي كما اهتمت دار العلوم بالعلوم العقلية التي تهتم بها مدرسة خيرآباد، وهكذا أصبح منهجها الدراسي جامعاً متكاملاً بين هذه الاتجاهات الثلثة.

ويهدف هذا المنهج الدراسي للدار إلى تخريج علماء متقنين ماهرين في العلوم والفنون، فوضع مؤسسوها في المنهج التعليمي كتباً من كل علم وفن من

---

[27] الثورة الهندية، مطبعة المدينة، بجنور. ص: 256–257

التفسير والحديث وأصولها والفقه والعقائد والكلام والمنطق والرياض والصرف والنحو والبلاغة وما إلى ذلك مواد عديدة تدرس في كليات الشريعة الإسلامية وكليات اصول الدين والدراسات العليا فى الجامعات الإسلامية العربية. وقد ألّف متخرجو الدار كتباً بعدد أُلوف على موضوعات التفسير والحديث وأصولهما والفقه والفرائض وفلسفة التوحيد والمنطق والكلام ومجموعات ضخمة من الفتاوى بلغات ثلثة من العربيه والأردية والفارسية كما أنهم كذالك كتبوا مؤلفات ممتعة بارعة في النشر والنظم والصرف والنحو، ومقالات وتراجم وحواشي وتقاريظ ومعاجم لايأتي عددها في حصر وإحصاء.

درس نظامى

أنّ المقرارت الدراسية لدار العلوم ديوبند عرفت بـ"درس نظامى" وإن كانت حدثت كثير من التعديلات على مناهجها الدراسية بقدرالحاجة ولكن ليست هذه التعديلات تعديلات جزرية، وفي الأساس هذا هو المنهج الذى قام بوضعه عالم هندي الشيخ نظام الدين سهالوي (ت 1161/ 1748م وبدأ نظاماً جديداً لمقررات المدارس الإسلامية وتطور في مدرسة فارانكي محل بلكناؤ في القرن الثامن عشر وهذا المنهج التدريسي الذي سمى درس النظامي (المنهج النظامي)

لنسبة إلى واضعه وقدنال قبولاً عاما لدى العلماء فراج في جميع أنحاء الهند في ذلك العصر.

وكانت مدة الدراسة حسب المنهج للمدرسة سبع سنوات، وتلحق بها الطالب في حدود السن الثالثة عشر من عمره أو بعدها بعد إنهاء التعليم الإبتدائى حيث كان هو المنهج الموحد للتعليم الإسلامية المتوسط والعالى. فكان يحتوي هذا المنهج معظم المواد الدراسية من التفسير والحديث والكلام والمنطق والحكمة والفقه وأصول الفقه والصرف والنحو والبلاغة وما إلى ذلك.

المقررات الدراسية لدارالعلوم ديوبند

المقررات الدراسية لدار العلوم التى تتداول في معظم المدارس العربية في الهند، هى تنقسم أساسياً إلى مراحل ابتدائية ومتوسطة، وثانوية أو جامعية ونذكر فيما بعد أسماء الكتب المقررة في المنهج الدراسي.

يُدرس في الإبتدائية القرآن ومبادئ الكتابة والقراءة والخط والإملاء ومبادئ الدين باللغة الأردية المحلية في أسلوب بسيط وتطابق مع عقلية الناشئ

والحساب واللغة الأردية والهندية والجغرافيا، وهذه المرحلة تستغرق ثلاثة سنوات إما مرحلة تحفيظ القرآن فمدتها سنتان فقط.

وفي المتوسطة يدرس الدين واللغة الأردية واللغة الفارسية وآدابها ومبادئ اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والإنشاء والفارسي، تستغرق هذه المرحلة أربع سنوات.

وفي الثانوية ومدتها أربع سنوات أيضا يدرس الطالب قواعد اللغة العربية والأدب العربي القصصي، والتفسير والحديث والمنطق والفقه وأصول الفقه والتجويد، وللتجويد قسم خاص أيضا في الجامعة.

وأما في مرحلة الدراسة العليا الجامعية فيدرس التفسير وأصوله والحديث وأصوله، والأدب العربي وأصول الدين، والمنطق والفلسفة، والبلاغة، وعلم الفلك، وعلم المواريث، وعلم المدنية والجغرافيا، ومبادئ الطبيعية، والكيمياء.

وبعد هذه المراحل اللازمة أقسام تكميلية اختيارية وهي: قسم تكميل التفسير، وقسم تكميل الأدب، وقسم تكميل أصول الدين، وقسم تكميل المعقولات، وقسم التخصص في الإنشاء، وقسم التخصص في الأدب العربي، وقسم تكميل الطب. وفيما يلي أقسام دارالعلوم البارزة:

قسم تحفيظ القرآن الكريم

وبما أن القرآن الكريم لايختص على أحد فضائله وأهميته تلاوةً وحفظاً فأنشأت الجامعة قسماً خاصاً له حيث يقرأ الطلاب القرآن ويحفظونه عن ظهر قلبهم في مدة يسيرة، وينجب هذا القسم كل سنة عدداً من حفاظ القرآن الكريم.

قسم التجويد

أنشئ هذا القسم وعُيّن القاري عبدالوحيد خان الإله آبادي معلّما فيه. وأول طالب قرأ عليه التجويد هوالقارى محمد طيب رحمة الله عليه ويلزم كل طالب يدرس في الجامعة أن ينضم إلى هذا القسم لتجويد القرآن وتلاوته فكل طالب ينتسب إلى الصفوف العربية للجامعة يحضرون ساعة واحدة كل يوم ويتدربون على تلاوة القرآن ترتيلاً ويقرأون كتباً في علوم التجويد. وتخرج في هذا القسم آلاف من الطلبة.

قسم التفسير

اعتنت الجامعة منذ بدايتها بتدريس لتفسير الجلالين الذي الّفه كل من الشيخ جلال الدين احمد بن محمد المحلي وعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ودرس هذالكتاب من أوله إلى نهايته قبل البدء فى تدريس دواوين الحديث. ثم

أضافت إلى المنهج التعليمى كتاباً إسمه الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام شاه ولى الله الدهلوى وهذا القدر يجب على كل تلميذ أن يدرسه قبل أن يأخذ في دراسة الحديث.

وأمّا قسم تكميل التفسير فيلحق به الطلبة بعد التخرج في الجامعة. أنشئ هذالقسم فيما بين عامى 1350 و 1351.

قسم الحديث وعناية الجامعة به

لاشكّ أي ذي علم وبصيرة في أن الجامعة يحق لها أن تفتخر بإنجازاتها وخدماتها في مجال علم الحديث، فإنها جعلت هذا العلم الشريف موضع اهتمام خاص لها واعتنت به عناية منقطع النظير وسعت دائما إلى إحيائه تدريسا وتعليما وكتابة، فدراسة الحديث فيها من حيث الجمع واستيعاب جميع نواحي البحث من السند والمتن والتفقه والدراية ميزة تمتاز بها الجامعة بين شقيقاتها في الهند والدول الأخرى.

والجدير بالذكر أن الجامعة مبنى مستقلاً لدراسة الحديث لايوجد نظير في تاريخ الهند قبل ذلك ذكر إنشاء البناية خاصة لدراسة علوم الحديث.

أنشئ دارالحديث للجامعة في 20 من شهر ربيع الأخر عام 1330 بمعونات الشعب المسلم الهند على أيدي العلماء الكبار أمثال الشيخ محمد حسن الديوبندي، والشيخ أشرف علي التهانوي والمحدث الكبير خليل احمد السهارنفوري والشيخ عبدالرحيم الرائفوري رحمهم الله تعالى. ومنذ ذلك الحين بُدئ تدريس دواوين الحديث فيها وذاع صيت دار الحديث التابعة لها في جميع أنحاء العالم فأخذ يقصدها دواوين الحديث من أمكنة بعيدة وتخرج منها عدد كبير من طلاب الحديث.[28] وازداد عددهم يوماً فيوماً حتى بلغ عدد المتخرجين كل عام مابين خمس مأة إلى سبع مأة في يومنا هذا.

قسم التفقيه والإفتاء

هو قسم هام للجامعه يلتحق به المتخرجون في الجامعة والتي تتخذ في تدريس كتب الحديث أسلوباً، يجمع بين الرواية والدراية ويبحث جميع النواحي المتعلقة بعلم الحديث في الأحكام الفقهية وتدقيق مذاهب المجتهدين في المسائل المتنازعة فيها مع ترجيح الراجح منها، والحديث عن متون الحديث ورواته. وبما أن العلماء المنتسبين إلى الجامعة يتبعون في الفقه الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان

[28] مأة وسبعة عشرعاما للجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، ص: 22–23

بن الثابت رحمه الله عليه، فيدرسون بعض كتب قيمة يؤيد مذهبه من أولها إلى آخرها ولاسيما الهداية شرح البداية التي ألّفها الإمام مرغيناني رحمه الله عليه، كما أن العلماء الجامعة نصيباً بالغاً في القيام بشرح دواوين الحديث واهتماماً خاصاً في شرح كتب الفقه مع تحشيتها والتعليق عليها ونشرها.[29]

يتخرج فيها عدد من الطلبة بعد سنة كاملة و يشتغل بالإفتاء والتفقيه في المدارس والمعاهد الدينية الأخرى في أنحاء العالم، ولهم شروح وحواشي ممتعة بارعة على كتب الفقه، منها حاشية على كنز الدقائق للعالم الكبير محمد أحسن النانوتوي وللشيخ محمد اعزاز علي الأمروهي. كما أن للشيخ الأمروهي حاشية على شرح النقاية لملاعلى قاري وعلى نور الإيضاح للشرنبلالي، وعلى مختصر القدوري، وكل ذلك مطبوع.

قسم الإرشاد الديني:

ينظم هذا القسم بعثات الدعاة ويهتم بإرسال المبلغين إلى مختلف أنحاء البلاد لإلقاء الخطب أومقاومة أهل الزيغ، يضم هذا القسم دعاة أكفاء أمناء، وهم لايزالون يقومون بجولات دعوية وفق برنامج خاص، وقد قام مبلغو

[29] تاریخ دارالعلوم، سید محبوب رضوی، ج 2، 217–218

الجامعة بعمل عظيم في مقاومة الفرق الضالة وتخليص المجتمع الإسلامي من رواسب الخرافات والبدع.

عدد الطلاب:

لايقل عدد الطلاب في الجامعة عن نحو أربعة آلاف طالب أوأكثر كل عام، وأكثرهم مواطنون من مناطق الهند وولاياتها المختلفة. ويلتحق بالجامعة كل عام عدد كبير من طلاب ماليزيا وبنغلاديش وفيجي وسري لانكا وأحيانا من البلاد العربية أيضا.

نشاطات الطلبة:

يقضي طلبة الجامعة جلّ أوقاتهم بعد ساعات الدرس في نشاطات متنوعة من المطالعة والمذاكرة والتمرن على الخطابة والكتابة والإنشاء بالعربية والأردية فيصدرون صحفا حائطية بكلتا اللغتين، وهم ينظمون كل أسبوع برامج تمرينية على الخطابة والإنشاء، كما يشتغلون بأشغال متنوعة مع المحافظة على أدب الجامعة.

لغة التدريس:

لغة التدريس هي اللغة المحلية في جميع مراحل التعليم من الابتدائية إلى الثانوية، إما في الدراسات العليا وأقسام التكميل فيجرى الدرس بكلتا اللغتين والأردية.

الامتحانات:

تجري في الجامعة امتحانان، يكون امتحان الفترة الأولى في شهر ربيع الأول، ويجري الامتحان السنوي من نهاية شهر رجب إلى العشرين من شهر شعبان وفق نظام مقرر.

الشهادات:

تمنح الجامعة "شهادة الفضيلة" بعد ما يستكمل الطالب مناهجها الدراسية من الابتدائية إلى الجامعية، كما تمنح "شهادة الأدب والتفسير والعلوم" لمن تخصص في هذه الأقسام، و"شهادة الافتاء" لمن تخصص في قسم الفقه والافتاء.

قسم الخط:

في الجامعة قسم خاص يتمرن فيه الطالب على الخط والنسخ يتعلم جميع أنواع الخطوط من الرقعة والنسخ والثلث والكوفي والفارسي، قد نبغ في هذا القسم خطاطون بارعون في كلتا اللغتين العربية والأردية، الذين يملكون مقدرة فائقة على الخط والنسخ وتجدر روائع خطوطهم أن تعد تحفة نادرة لجمال الخط.

مجانية التعليم:

التعليم مجاني في جميع مراحل التعليم والأقسام، وتهيئ الجامعة لجميع الطلبة السكن، ولكل طالب الطعام والكساء والنور والدواء وكتب المقررات الدراسية، إضافة إلى منح دراسية تخصها الجامعة في الدراسات العليا يختلف قدرها باختلاف الدرجة والتفوق.

ملخص القول: إن هذه المدرسة التي أسسها نخبة من عباد الله المخلصين لأهداف وأغراض معينة شاملة تكفل حماية الدين ونصرته وتضمن نشر علوم الإسلام وازدهارها وقد أدت رسالتها كما كان المطلوب منها وحققت أهدافها كما كان المتوقع منها بل فوق ما كان يرجى ويؤمل .

الباب الثاني

حياة محمد يوسف البنوري وأعماله

الفصل الأول: حياة محمد يوسف البنوري ونشأته

الفصل الثاني: أساتذة العلاّمة محمد يوسف البنوري

الفصل الثالث: مقاومة الشيخ محمد يوسف البنوري الفرق الضالة

الفصل الأول: حياة محمد يوسف البنوري ونشأته

مولده ونشأته:

هو السيد محمد يوسف بن محمد زكريا بن مير مزمل شاه ينتسب نسبه إلى موسى الكاظم، هو واحد من أعلام الهند والعلماء العباقرة الذين كانوا في القرن الرابع عشر الهجري. إنّ هذا الشيخ له مكانة عظيمة في الانقطاع للعلم والعمل، وفي خدمة علم الحديث والدراسات العربية.

ولد-رحمه الله تعالى- ليلة الخميس السادسة من ربيع الآخر وقت السحر سنة ألف وثلاثمائة وست عشرين هجرية الموافق سنة ألف وتسعمائة وثمانية ميلادية في قرية "مهابت آباد" من مديرية مردان، وكان جده الأعلى السيد آدم - رحمه الله تعالى- أقام في قرية "بنور" من مديرية أنباله، الهند، ولذا تنسب هذه الأسرة الكريمة إلى بنور، وقد ارتحل بعض من عشيرته من بنور إلى محافظة الحدود وذلك عندما تغلب السيخ في تلك البلاد، ورحب رؤساء قبائل الأفغان في محافظة الحدود هذه الأسرة الكريمة، واستفادوا من علومها الظاهرة والباطنة، وكافح الأسرة البنورية الآراء الهدامة والتقاليد الجاهلية الرائجة السائدة في تلك

البقاع ولهم جهود مشكورة في هذا الصدد، وبعد مرور الأيام انتقل بعض هذه الأسرة إلى "كوهات" والآخرون إلى بشاور.

وقد كان جد الشيخ – رحمه الله – السيد مير أحمد شاه رجلا يشار إليه بالأصابع في عشيرته ورزقه الله من التقوى والصلاح حظا كبيرا، وأسس في بشاور حيا سمى باسمه " كرهي ميرأحمد شاه" وما كان يسمح للإقامة به لأحد يصلي الصلوات الخمس، وقد أنجب السيد مير مزمل شاه السيد محمد زكريا الذي شرفه الله تعالى بنفس زكية ونجل تقي سمي بـ"محمد يوسف البنوري".

والأسرة البنورية أسرة قد جمع الله فيها العلم والعمل، والتقوى والورع، والخير والصلاح، والزهد والقناعة، والإعراض عن الدنيا والإقبال إلى الآخرة، كان والده – رحمه الله تعالى – عالما ورعا زاهدا تقيا عابدا، قضى عمره في الرياضيات والمجاهدات، وقضى نحبه وهو مكب فيما يقربه إلى الله جل وعلا وورث كل ذلك ابنه الصالح البار، ورزق مع حسن للصورة حسن السيرة، رزق مع العلم الزخار عملا متواصلا، قضى عمره وشبابه في الجهد لإعلاء كلمة الله، لايخاف في ذلك لومة لائم، ولايصده عن كلمة الحق ذوسلطان أو صاحب

حكومة، كان عالما عابدا زاهدا بكاء لخشية الله، تهمرعيونه ديمة مدراراً، ولسانه عبراً ومواعظاً.[30]

طلب العلم:

تعلم القرآن الكريم ومبادئ العلوم على والده السيد محمد زكريا وخاله الشيخ فضل صمداني البنوري والشيخ عبد الله في بشاور، وكانت جدة الشيخ –رحمها الله-من أسرة ملكية لكابل وقد وهب لوالده الأمير محبت خان بعض الأراضي في "رشكي" ولكن الشيخ زكريا ما أبقى لنفسه سوى بيت يظله وخرج في سبيل العلم وبهذه المناسبة درس الشيخ –رحمه الله- كتب الصرف والنحو في مكتب ببلدة كابل (أفغانستان) في عهد الأمير حبيب الله خان، ومن أشهر من انتفع به في هذه الفرصة الشيخ عبد الله بن خير الله البشاوري المتوفي سنة 1340هـ.

وقرأ الكتب المتوسطة من الفنون المختلفة من الفقه وأصوله والمنطق والمعاني والأدب وغيرها على علماء بشاور وكابل ومن أكبرمشايخه في هذه الفنون الشيخ عبد القدير اللمقاني الأفغاني قاضي محكمة المرافعة في جلال آباد من بلاد

[30] مجلة البينات، العدد الخاص 1978م، ص: 30

أفغانستان، الشيخ محمد صالح القيلغوى الأفغاني وغيرهما، وكان له ذوق خاص في الأدب العربي، وولوع شديد باللغة العربية، وكان للأمير أمان الله خان وزير له شغف بالأدب العربي ولما رأى هيام الشيخ البنوري بالأدب العربي وذكاءه المفرط أهدى إليه بعض الكتب الأدبية للأدباء المصريين.[31]

وحضه هيمانه بالعلم وشوقه في الاستزادة من العلوم على السفر إلى الديار الهندية للالتحاق بجامعتها الغراء أزهر الهند "دارالعلوم ديوبند" فالتحق بها سنة 1345 من الهجرة النبوية وكمل فيها الدراسة العالية في التفسير والحديث والفقه وأصولهما على مشايخها وبقي فيها إلى سنة 1348من الهجرة النبوية ومن مشايخه في الحديث محقق العصر الشيخ شبيرأحمد العثماني أول شيخ الإسلام في باكستان (صاحب فتح الملهم شرح صحيح مسلم) رحمه الله تعالى، وإمام العصر المحدث الكبي ر محمد أنورشاه الكشميري ثم الديوبندي رحمهما الله تعالى. وبقي فيها إلى 1347 من الهجرة.[32]

---

[31] المرجع السابق، ص: **53**

[32] المرجع السابق، ص: **53**

وعندما عزم العلّامة محمد أنورشاه الكشميري والشيخ والمحقق العثماني على الرحيل من دارالعلوم ديوبند ونزلا بالجامعة الإسلامية بـ"دابيل سورت" تبعهما الشيخ البنوري وزملاؤه قضاء لواجبهما ووفاء لصلتهم بهما، ومن الجامعة الإسلامية تخرج الشيخ البنوري وعلى يدى الشيخ الكشميري كمل دراسة كتب الحديث وعليه تخرج وهو الذي انتفع به إلى الغاية وبقى له خادما في أسفاره ليلاً ونهاراً مايزيد على عام.

وقضى أربعة أعوام من عمره في بشاور في السياسة تحت راية جمعية العلماء وانتخب رئيسا لها، ولكن بعد قليل استقال عن السياسة حفظا لأوقاته الثمينة وصرفا لها في ما هو الأهم من وأمثل، وكان يتأسف على ضياع هذه الفرصة الذهبية من عمره في مثل هذه الأشغال. وقد قام أثناء قيامه ببشاور بتدريس العلوم والفنون في مدرسة رفيع الإسلام في "بهانه ماري" بكل تحقيق وتدقيق.

التدريس والإفادة:

ونظراً إلى أنه من أشهر تلاميذ الشيخ الكشميري الذي لازمه ورافقه حتى صار أمينا لعلومه وشارحا لثروته العلمية وتراثه الحديثية واعترافا لمكانته العلمية

والمواهب الربانية انتخب مدرسا في الجامعة الإسلامية بدابيل في مقاطعة بمبائ الهند بعد وفاة شيخه رحمه الله إلى أن صار فيها شيخ الحديث ورئيس المدرسين، وقد درس في مدرسة رفيع الإسلام قبل تعيينه مدرسا في الجامعة الإسلامية بدابيل. ثم انتخب عضواً للمجلس العلمي في نفس الجامعة، والمجلس العلمي هو الذي بعثه مندوبا إلى القاهرة برفاقه الشيخ أحمدرضا –ختن الشيخ الكشميري- للإشراف على طبع عدة كتب وذلك عام 1937م، وتحت إشرافه طبع كتاب "نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية" للزيلعي، و"فيض الباري شرح صحيح البخاري" للكشميري، ما نشرله مقالات قيمة في عدد من الموضوعات في المجالات المصرية منها "الإسلام " الأسبوعية ومجلة "الهدي النبوي".[33]

وقد عين رئيساً لجمعية علماء الهند في ولاية كجرات ومدينة بمبائ الهند وعضواً للجنة أوقاف بمبائ، ومازال شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية في دابيل إلى أن هاجر إلى باكستان، وعندما عقد مؤتمر فلسطين في القاهرة سنة 1357 من الهجرة الموافق 1938م كان البنوري -رحمه الله تعالى – مساعدا لحضرة الشيخ كفاية الله الدهلوي مفتي الهند الأكبر في مشروعات المؤتمر، وجميع ما

[33] القصائد البنورية، الدكتور محمد حبيب الله مختار، ص: 3–4

ألقي منه في الاحتفال وماشاع في الجرائد من خطابات، كل ذلك كان بقلمه حيث أصبح الشيخ الدهلوي مريضا لم يستطع القيام بأعبائه.

هجرته إلى باكستان:

إن حكم الله تعالى عجيبة ولايمكن لبشر أن يبلغ كنهها وقد سبقت المشية الأزلية على أن يسافر هذا العالم الكبير وهذه الداعية إلى أرض باكستان وينتفع بعلومه أهالي باكستان وينور به أقطار المسلمين فهيأ له أسبابا للهجرة وألح عليه الشيخ شبير أحمد العثماني والشيخ بدرعالم المدني –رحمهم ا الله تعالى – للهجرة إلى باكستان فامتثالاً لأمرهما ونزولاً على رغبتهما هاجر إلى باكستان في السادس عشر من يناير سنة 1951م، وقد استقبله بعض الوزراء عند قدومه، وتلبية لرغبة الشيخين العثماني والمدني أقام كشيخ التفسيرفي دارالعلوم الإسلامية بـ"تندو الله يار" بـ"السند" وقضى فيه ثلاثة أعوام يشفي غليل ضيوف الرحمن طلبة التفسير والحديث، ولكن رحمة الله أرادت أن تمطر هذه الديمة ويهطل هذا المزن على كراتشي وأهاليها فسافر الشيخ-رحمه الله تعالى – إلى كراتشي وأسس في نيوتاؤن (التي تسمى الآن بعلامة محمد يوسف البنوري تاؤن تقديراً لجهوده العظيمة في سبيل العلم والدين) جامعة بإسم المدرسة العربية

الإسلامية تواضعا لله عزوجل وتحرزا عن الأسماء التي تدل على جلالته أومكانة جامعته، وفتح في هذا المعهد العلمي فرعا للتخصص للطلبة الذين تخرجوا من المدارس وحصلوا على الشهادات العالية وهكذا بدأ هذا المركز العلمي ولكن نزولا على رغبة الطلاب الوافدين إليهما من كل فج عميق ونظرا إلى إصرار المخلصين فتح فيه القسم الثانوي والعالي أيضا. وأصبحت هذه الجامعة في عهد طفولتها قبل شبابها ممتازة بمناهجها وحسن تعليمها ونظامها وتربيتها.[34]

مكانته العلمية:

وبم أنّ الله منحه ملكات في كل فن ورزقه ذهنا وقادا وبصيرة ثاقبة وعلما وهبيا، وذاكرة قوية وقدرة على كل فن من العلوم الدينية، ومهارة تامة في التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد، وكان كل ذلك يتجلى في كلامه وتدريسه، وكتابه وخطابه، ووعظه وإرشاده، قدره أصحاب الفراسة وأرباب الإدارات العلمية، ولما كان الشيخ البنوري –رحمه الله تعالى- في دابيل عرض عليه الشيخ العثماني والشيخ حسين أحمد المدني-رحمهم ا الله تعالى – والشيخ القاري محمد طيب –حفظه الله – منصب الإفتاء، وكذا مسند تدريس القسم العالي في

[34] مجلة البينات، العدد الخاص **1978**م، ص: **55**

جامعة ديوبند الإسلامية التي هي أكبر معهد علمي ديني في القارة الهندية، والتي لانظير لها في العالم في خصوصياتها الفذة، والتي لاتأخذ من الحكومة أية معونة مادية وتمشى على نفقات المسلمين وأهل الخير، وهي التي أضاءت مصابيح الهداية في تلك البقاع المظلمة، وبإخلاص عبادالله الصلحاء الذين اسّسوها لم تزل ولاتزال في رقي وازدهار، وتسعى سعياً حثيثاً لنشر العلوم الإسلامية، وتثقيف العلماء بسلاح العلم لمكافحة الآراء الهدامة ومقاومة الفرق الضالة.

هذا، وقد دعاه الشيخ السيد السليمان الندوي إلى الجامعة الأحمدية بولاية "بهوفال" الهند" لمنصب شيخ الحديث، ولكنه أحب اللقاء بـ"دابيل" رعاية لغرس شيخه الكشميري وحفظاً لأمانته، وعند ما هاجر إلى باكستان وخدم دارالعلوم الإسلامية في السند مدة أراد الله بقاءه بها، ولما امتطى صهوة الرحيل منها وعزم على الاستقالة تواردت عليه دعوات من أكثرمشاهير المعاهد العلمية في باكستان الغربية من كراتشي إلى "بشاور" لرئاسة التدريس ولمسند شيخ الحديث فيها، ولكنه لم يقبلها على ظن أنه بقى قدرقليل من عمره ولاينبغي إضاعته في تجارب جديدة، ومنح له أن يؤسس مدرسة دينية يقوم فيها بتربية الطلبة كما يريد، وتدريس للعلوم تحت ضوء أفادته التجارب الدراسية بمنهاج خاص يكون نا فعا

لأبناء الأمة، وكان –رحمه الله تعالى- يقول دائما: إنّ أمثال هذه الأمور العظيمة تحتاج إلى إخلاص عظيم، وهمة عالية ، وجهد متواصل، وصبر واستقامة ، ومساعدة من رفقاء مساعدة روحية ومساعدة مادية مالية، وكان يقول تواضعا – كدأب العلماء الربانيين من هذا الشأن- "وإني أدركت أنها لم تجتمع لي هذه الأمور، ودون هذا آمال فارغة وضرب في حديد بارد وأنى لهم التناوش من مكان بعيد؛ فأحب أن يسافر إلى الحرمين الشريفين هذه الديار المقدسة التي هي مهبط الوحي"[35] فعزم على السفر للحج والزيارة ليستخير الله تعالى ويدعوه في أماكن الإجابة أن يلمهه ما هواللائق به من خدمة للدين والعلم، فسافريوم الجمعة الرابع من ذي الحجة سنة 1373من الهجرة وكان من أهم دعواته في تلك البقاع المقدسة أمكنة الإجابة وأوقاتها الدعاء لهذا القصد الشريف، ومكث في الحج عشرين يوما، ثم سافر إلى المدينة المنورة ومكث بها اثنين وثلاثين يوما، فوقع العزم على الاستقالة من دارالعلوم الإسلامية وتأسيس معهد علمي مستقل تحت إدارته، و وصل إلى المسجد الجامع بـ"نيوتاؤن"، وكان المسجد قد وضع له الأساس فقط ولم يكن هناك شيء من الحوائج الضرورية ومرافق الحياة اللازمة، واتفق

[35] القصائد البنورية، ص: 7

مع لجنة المسجد وأرباب الحي أن يفوضوا إليه أمر عمارة المدرسة وبنائها وصرح لهم أنه لا يريد منهم أية مساعدة مالية في هذا الصدد.

وكان المسجد الجامع آنذاك في بدء عمارتها فلم يكن هناك إلى الأساس والهيكل، لم يكن له متوضؤ ولا حمام ولاغرفة ولا أي شيء من مرافق الحياة، ولما بدأ هذا المعهد استقرض ثلاثمائة روبية من تاجر ووزع منه المكافاة الشهرية على الطلاب، وهكذا كانت البداية السعيدة لهذا المعهد في غاية التوكل على الله جل وعلا. وهكذا أسس المغفورله جامعة كبيرة باسم "المدرسة العربية الإسلامية". سنذكر التفاصيل عنه في الباب الثاث إن شاء الله.

توليه مناصب عديدة:

محمد يوسف البنوري -رحمه الله : قد سلف أن ذكرنا أنه انتخب رئيسا لجمعية العلماء ببشاور، ورئيسا لجمعية علماء الهند في بلاد كجرات ومقاطعة بمبائ بالهند، وعضوا بارزا في لجنة أوقاف ببمبائ، وعضوا فعالا للمجلس العلمي بدابيل ورئيس المدرسين بالجامعة الإسلامية بدابيل، وشيخ الحديث بها، وشيخ التفسير لدارالعلوم الإسلامية بـ"تندو الله يار"، وكان مؤسسا ومديرا للمدرسة

العربية الإسلامية سابقا وجامعة العلوم الإسلامية حالا، وشيخ الحديث بها، وعضوا للمجمع العلمي العربي بدمشق، وعضوا لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وعضوا لجامعة كراتشي في لجنتها الخاصة لانتخاب المدرسين لكليتي العلوم الإسلامية والأدب العربي، ورئيسا لمجلس تحفظ ختم النبوة باكستان، ورئيسا لوفاق المدارس العربية بباكستان، ورئيسا لمجلس العمل لتحفظ عقيدة ختم النبوة، واتفقت على قيادته جميع الأحزاب الدينية والسياسية اتفاقا لايوجد له نظير في هذه الأيام، ومؤسسا ورئيسا لمجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي، ومشرفا للمجلس العلمي الذي انتشرت فروعها في كل من كراتشي وجوهاسبرغ والهند، ورئيسا لجمعية اتحاد المدارس العربية.

الشيخ البنوري والعالم الإسلام:

كان عضوا لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، يلبي دعوتهم للحضور في المؤتمرات السنوية للمجمع، وقد انتخب عضوا في المؤتمر الأول الذي انعقد في سنة 1383من الهجرة الموافق 1964م، وقد اشترك في ست مؤتمرات من مؤتمراتها، وعند ما قال للأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية: "أرجوكم رخصة عدم الاشتراك في المؤتمرات الآتية، أجابه الدكتور قائلا: مثلكم لا يستغني

عنه"[36]، ولما زار شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود باكستان شرف جامعة العلوم الإسلامية بقدومه وقال في كلمته التي ألقاها في رحاب الجامعة:

"إني سعيد بأن ألتقى بالأخ الفاضل الكريم الشيخ محمد يوسف البنوري، هذا الرجل المجاهد الذي يأتينا إلى مصر فنستقبله باعتباره عالما من كبار العلماء، وقمة من القمم الإسلامية الكبرى، نستقبله كمحدث وقد قل المحدثون في هذا العصر، ونستقبله كعالم لا يقول عن ظن ولايتحدث عن تخمين، وإنما يتحدث عن دراية، ويتحدث عن علم، ويتحدث عن دليل، ويتحدث عن مزاولة مستمرة للعلوم الدينية، ولعلكم أعلم أن فضيلة الأستاذ شاعرأيضا، هو محدث، وهو مفسر، وهو أيضا شاعر، ولم تكن دعوته بالعلم فحسب وإنما كانت دعوته أيضا بخلقه هذا الكريم الذي يتجلى فيه، شكرالله عالما، وشكرالله له محدثا، وشكرالله له داعيا إلى الله سبحانه وتعالى".[37]

وقد وصلته الدعوة من وزارة الأمور الدينية والأوقاف العراقية للحضور في مؤتمرها ولكنه اعتذر عن الحضور لكثرة الشواغل وبعض الأمراض، كما أنه

---

[36] مجلة البينات، العدد الخاص 1978م، ص: 64

[37] القصائد البنورية، ص: 12-13

استلم دعوة من الملك حسن ملك المراكش لإلقاء المحاضرات على الموضوعات العلمية، ولكن حكومة باكستان آنذاك حالت دون عزمه، وقد ساهم في عديد من المؤتمرات المنعقدة في باكستان وقد حضرها أعيان العلماء من العالم الإسلامي.

وأيضاً، أيّ وفد من العلماء أو أي قمة من قمم الدين يزور باكستان يستدعى من الحكومة الاجتماع واللقاء مع البنوري رحمه الله – فهؤلاء شيوخ الأزهر وأئمة المسجد الحرام والسجد النبوي وآخرون من الجهابذة كلهم يزورونه عند زيارتهم لباكستان . وكان -رحمه الله – أحد العلماء الواحد والثلاثين الذين دونوا النقاط المتفقة الدستورية تحت قيادة الشيخ السيد سليمان الندوي، وبم أنه رجل علم ودين كان لايحب أية وظيفة حكومية أومنصب حكومي من المناصب الدنيوية ولذلك لما أراد المرحوم الشهيد لياقت على خان رئيس الوزراء سابقا لجمهورية باكستان إرساله كنائب سفيرإلى مصر أو السعودية أو أفغانستان من دول المسلمين لكي يكون ممثلا صحيحا للأمة الباكستانية المسلمة رفضه واعتذر عن قبوله.

الشيخ يوسف البنوري ورحلاته:

كان من دأبه السفر إلى الديار المقدسة الحرمين الشريفين مرتين في كل سنة، مرة في شهر رمضان المبارك للعمرة والاعتكاف ومرة في ذي الحجة الحرام للحج، ويكون مدة بقائه بالسعودية مرجعا للعلماء الوافدين إليها من كل قطر، وكان علماء البلاد يأتون إليه جماعة وفرادى لزيارته ولقائه ولكشف ما خفي عليهم، وحل ما صعب عليهم، أو لأخذ إجازة الحديث، أو الاطلاع على المهمات الدينية.[38]

شيوخه وأساتذته:

وقد لقي في رحلاته أكابر علماء تلك البلاد واستجاز في الحديث النبوي الشريف من كبار علماء المذاهب كما قد استجاز من علماء بلاده أيضا فمنهم:

1. الشيخ محمد أنورشاه الكشميري، وقد استجاز الشيخ الكشميري عن الشيخ محمود الحسن الديوبندي الملقب بشيخ الهند عن الشيخ محمد قاسم النانوتوي عن الشيخ عبد الغني، وله طريق آخر عن شيخ الهند عن الشيخ عبد الغني

[38] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: 66-67

مباشرة، وطريق آخر عن الشيخ محمد إسحاق الكشميري عن الشيخ السيد نعمان الآلوسي عن والده محمود الآلوسي صاحب "روح المعاني".

2. الشيخ عبد الرحمان الأمروهوي.

3. الشيخ أحمد حسين المدني.

4. الشيخ شبير أحمد العثماني.

5. لشيخ المفتي عزيز الرحمان، مفتي دارالعلوم ديوبند.

6. الشيخ حسين بن محمد الطرابلسي .

7. الشيخ محمد زاهد الكوثري، وكيل اللجنة الدراسية لشيخ الإسلام باستنبول إلى أن صار فيما بعد رئيسا لهذه اللجنة، ولكنه انزوى من تركيا وأقام بمصر، وكان إماما في معرفة المخطوطات والكتب النادرة في مكاتيب البلاد الإسلامية وبالأخص بخرافات الآستانه .

8. الشيخ عمر بن حمدان المقدسي المالكي المغربي.

9. الشيخ محمد بن حبيب الله بن مايأبي الجكني الشنقيطي مدرس الحديث بكلية أصول الدين بمصر.

10. خليل الخالدي المقدسي .

11. الشيخة أمة الله بنت الشيخ عبد الغني المحدث صاحب "اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني" وغيرهم رحمهم الله تعالى جميعا. هذه نبذة إجمالية عن مشايخ البنوري رحمه الله.[39]

تلاميذه:

أما تلاميذه فهم لايحصون كثرة ولايخلو بلد من البلاد الإسلامية إلا وتوجد فيها جماعة من تلامذته أوتلاميذه، ونذكر فيما يلي بعض النابغين ممن استجاز منه في الحديث النبوي الشريف من مشاهير عصرما:

1. الشيخ سليمان بن عبد الرحمان الصنيع رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة.
2. الشيخ المحدث حسن المشاط المالكي المدرس بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة.
3. العالم الصالح الشيخ إبراهيم الختمي المهاجر المدني.
4. الشيخ عبد العزيز عيون السود الحمصى السوري.
5. الشيخ عبد الفتاح أبوغدة المحقق البحاثة، وغيرهم[40]

---

[39] ترجمة الشيخ يوسف البنوري في بدء كتابه"معارف السنن، ص: 15-17

[40] القصائد البنورية، ص: 15-17

وفاته:

وقد سافر إلى الدار الآخرة هذا المجاهد العظيم وكان في سفر إلي إسلام آباد للحضور في المجلس الإسلامي الإستشاري الذي كان عضوا فيه فعالا بارزا وقد اشترك في بعض اجتماعاته ثم أصابته النوبة القلبية ونقل إلي المستشفى العسكري وعادت النوبة مرة أخرى فانتقل إلى جوار ربه ورحمته الذي كان منتظرا له من زمان وذالك يوم الإثنين الثالث من ذي القعدة الحرام 1397 من الهجرة الموافق 17 أكتوبر 1977م ونقل جثمانه إلي كراتشي واشترك في جنازته جمع حاشد لم يرله أهالي كراتشي نظيرا ودفن في رحاب جامعته التي هي من أكبر آثاره الخالدة فرحمه الله تعالي رحمة واسعة و أفاض عليه شآبيب رحمته وأسكنه جنة الفردوس و تغمده بعفوه وغفرانه.

الفصل الثاني

أساتذة العلامة يوسف البنوري

إمام العصر المحدث أنورشاه الكشميري

هو يعد من أشهر أساتذة العلامة يوسف البنوري الذي تلمذ عليه وكان يكن له احتراما وودا كبيرين. وكان خير خلف لأستاذه، نفع الأمة المسلمة بتحقيقات شيخه القيمة التي لا يعرف حقيقتها إلا من وهبه الله ذهنا ثاقبا وذكاء حادا وبراعة قوية، هو يعد من الرعيل الأول من الأئمة الكبار والأعلام المشاهير ويسجل اسمه في رأس قائمة المحدثين. كان عالما ومحدثا كبيرا وفقيها جليلا. إنه ولد في صبيحة يوم السبت، 27 من الشوال سنة 1293 من الهجرة بقرية "ودوان" من كورة لولاب بناحية شمالية من ضواحي كشمير. ويقول حكيم الأمة أشرف علي التهانوي عنه:

"إن الشيخ محمد أنورشاه قد فاق كثيرا من أساتذته[41] وكان يقول : إن وجود مثله في ألأمة دليل على حقانية الإسلام، ويقول العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله:

لم يأت بعد الشيخ ابن الهمام مثله في استثارة الأبحاث النادرة من ثنايا الحديث[42]. وقال أيضا عن العلامة الكشميري:

---

[41] الإفاضات اليومية من الإفادات القومية، الشيخ أشرف علي التهانوي **111/2**.

"لوحلفت أنه أعلم من أبي حنيفة لما حنثت"[43].

وقال المحدث الجليل بدر عالم الميرتهي تلميذ الكشميري رحمه الله تعالى: إن رأيته رأيت رجلا يضاهي الذهبي في حفظه، ويماثل ابن حجر في ضبطه وإتقانه، ويساجل ابن دقيق العيد في عدله ودقة رأيه، ويشابه البحتري في شعره، ويحاكي سحبان في بيانه وسحره بلى وليس ذلك ببعيد من صنع الله عز وجل، وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[44].

كان علم الحديث شعاره ودثاره، عاش له وعاش فيه ووقف حياته في خدمته فكان راسخ القدم في متونه، حاذقا للفقه والخلافيات، ومطلعا على مناقشات العلماء وآراء الأئمة الأعلام، وكان يحمل في صورة مكتبة واسعة في العلوم النقلية والعقلية، وكان من دأبه مطالعة كل كتاب في أي علم، وكان يقيد برنامجه ما تنحل به عقدة من مشكلات الكتاب والسنة والفقه[45]. وكان نادرة عصره في قوة الحفظ. وسعة الإطلاع على كتب المتقدمين، والتضلع من الفقه

---

[42] ترجمة الشيخ في بدء كتاب "التصريح" ومجلة "الداعي".

[43] ملفوظات محدث كشميري، السيد أحمد رضا البجنور، بيت الحكمة ديوبند سنة الطباعة غير مكتوبة. ص: 42

[44] مجلة "الداعي" العدد الخاص، 2 :11

[45] المرجع السابق.

والأصول، والرسوخ في علم الحديث، والتفسير وعلوم الحكمة وكان دقيق النظر في طبقات الفقهاء والمحدثين، ومراتب كتبهم منصفا في الحكم عليهم.

كان مربوع القامة، يميل إلى القصر، أبيض اللون صدعا تغشاه السكينة، ويعلوه الوقار، خافت الصوت، لايتكلم إلا فيما يعينه وفيما يتعلق بالعلم والدين، مجالسه مجالس العلم والإفادة، وقد غلبته الرقة في آخر حياته، وكان سريع الدمعة كثير البكاء[46].

نشأته ودراسته:

إنه نشأ وترعرع وتربى في حجر والدته، وحينما دخل في الخامسة من عمره أخذ في قراءة القرآن الكريم على والده، وبعد أن قرأ القرآن الكريم بالنظر شرع في قراءة الكتب الفارسية، وكان عمره إذ ذاك سبع سنين، ثم قرأ الكتب العربية المتداولة من الصرف والنحو، والفقه وأصوله على الشيخ محمد رسوني فوره في عامين[47].

وبعد تضلعه من علوم علماء كشمير التحق بدار العلوم ديوبند لتكميل العلوم، واكتساب المعارف، وكان شيخ الهند محمود حسن في ذلك الزمان رئيسها

---

[46] نزهة الخواطر 8/82،83.

[47] نقش دوام 2. ص:27.

وشيخا للحديث فيها، فمكث الشيخ الكشميري في دارالعلوم أربعة أعوام وقرأ العلوم المتعارفة من الحديث والفقه وأصولهما، تلمذ على كبار العلماء كأمثال الشيخ الهند محمود حسن الدديوبندي وشيخ الحديث خليل أحمد السهارنفوري والشيخ محمد إسحاق الأمرتسري، والشيخ غلام رسول هزاروي[48]. وبعد التخرج في الجامعة عين مدرسا بالمدرسة الأمينية بدلهي فدرس بها عدة سنين[49].

سفره إلى وطنه وقيامه بتأسيس مدرسة:

عزم الشيخ الرحيل إلى وطنه فأقام برهة بكشمير، ولما أحس أن الناس غارقون في البدع والخرافات أنشأ مدرسة لتعليم الدين سماها بـ"الفيض العام" ومكث بها ثلثة أعوام درس وأفتى[50]. وقد شكلت هذه المدرسة نواة للإصلاح الاجتماعي والديني في تلك المنطقة.

---

[48] المصدر السابق، ص: 27.

[49] تاريخ دارالعلوم ديوبند،ج 2 ص: 73.

[50] المرجع السابق، ص: 8.

سفره للحج:

سافر الشيخ للحج في 1323 من الهجرة[51]. فمكث بمكة المكرمة عدة شهور أو أسابيع، ثم شد الرحال إلى المدينة المنورة، ولقي هنا الشيخ الفاضل حسين بن محمد الجسر الطرابلسي كما لاقى رجالا كثيرين من أكابر البلاد الإسلامية، وذاكرهم مهمات المسائل، وأجازه الشيخ الجسر بأسانيده في الحديث وكتب له ورقة الإجازة وأثنى عليه فيهاثم عادإلى وطنه[52].

تدريس الحديث بجامعة دارالعلوم:

وبالإضافة إلى أسفاره وجهوده لإقامة المدرسة إنه قام أيضا بتدريس الطلاب لمادة الحديث والعلوم الدينية الأخرى وبذلك ساهم مساهمة كبيرة في تنشئة جيل من العلماء الذين قدموا الإسلام والمسلمين في القارة الهندية والبقاع المختلفة، وقد فوض إليه تدريس صحيح مسلم وسنن النسائي وسنن ابن ماجة، فقام بتدريسها خير قيام وعلى أحسن وجه، وكانت هذه فاتحة درسه في دارالعلوم ديوبند، وكان ذلك في 1325 من الهجرة، ثم إذا عزم شيخ الهند للرحلة إلى الحرمين الشريفين استخلفه على مقامه، وجعله شيخا للحديث ورئيسا

---

[51] نقش دوام، 2 2،1. بيس بري مسلمان، ص: 271.

[52] ترجمة الإمام الكشميري في بدء "الصحيح فيما تواتر في نزول المسيح" ، ص: 18.

للمدرسين بها[53]. واستفاد منه كثير من العلماء الأعلام وتضلع عنده عدد لا يحصى من العلماء الأعلام البارعين، وكانت دروسه تستوعب جميع نواحي القضية، وتنحل بها عقد سائر العلوم، وكان يتدفق بحره المتلاطم من علومه[54]. وكان لا يأخذ راتبا في جامعة ديوبند إلى عدة أعوام، ثم لما تزوج واضطر إلى نفقة العيال فعين أهل الجامعة راتبا له ليكفي حوائجه[55].

مؤلفاته:

إن شخصيته كانت موسوعية، وكانت متعددة الجوانب، فإنه لم يكتف فقط بأداء مهمة التدريس ، بل إنه قام ايضا بتأليف الكتب ألّف رحمه الله بعض الرسائل للدفاع عن الدين الحنيف، ولخدمة الإسلام والمسلمين، وطبع أيضا أماليه الدراسية التي طبعت باسم "فيض الباري على صحيح البخاري". جمع أماليه تلميذه المحدث الشيخ بدر عالم الميرتهي المدني، وهي معروفة ومتداولة في الأوساط الدينية والعلمية، وطار صيتها، وعم نفعها في الآفاق، وهي في أربعة مجلدات ضخمة.

---

[53] المرجع السابق **19** ونفحة النعير، ص: **11،12**.

[54] ترجمة الشيخ في بدء كتاب "التصريح"، ص: **20**

[55] المرجع السابق، ص: **19–20**

ومن أمالي الشيخ " العرف الشذي على جامع الترمذي" وهو مجموع بعض إفاداته ومحاضراته التي ألقاها في تدريسه لجامع الترمذي، جمعه أحد تلاميذه محمد جراغ (ت 1390هـ) في غاية السرعة والارتجال، ومن أماليه أمالية على "الصحيح المسلم" جمعها تلميذه النجيب الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، لكنها لم تطبع. وهناك أماليه الأخرى على "سنن أبي داؤد" طبع منه جزء واحد، والباقي لم يطبع.

ومن مؤلفاته المشهورة:

1. مشكلات القرآن
2. فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب
3. خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب (بالفارسية)
4. نيل الفرقدين في رفع اليدين
5. بسط اليدين لنيل الفرقدين
6. كشف الستر عن مسألة الوتر
7. إكفار الملحدين في ضروريات الدين
8. عقيدة الإسلام بحياة عيسى عليه السلام

9. تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام
10. التصريح بما تواتر في نزول المسيح
11. خاتم النبيين ﷺ، (بالفارسية)
12. مرقاة الطارم لحدوث العالم
13. ضرب الخاتم على حدوث العالم
14. سهم الغيب في كيد أهل الريب، (بالفارسية، رد على المتدعين في مسئلة الغيب)
15. كتاب في الذب عن قرة العينين (بالفارسية، وفيه رد على الروافض)
16. الاتحاف لمذهب الأحناف، وهو حواش وتعليقات نافعة مانعة جامعة علقها على كتاب "آثار السنن".

ومن الجدير بالذكر بأن مؤلفاته تضم حكما وحقائق مما يطرب السامع والآذان، وينعش القلوب والأذهان، يقول الشيخ العلامة سليمان الندوي" إن مثال العلامة أنورشاه الكشميري كالبحر المحيط الذي يكون ظاهره هادئا وباطنه يزخر بأنواع من الدرر الفاخرة واللآلي الثمينة[56].

[56] نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور، ص: 232.

مطالعته لكتب الحديث والشروح:

إن العلامة كان كثيرا الاطلاع على كتب الحديث وكان يطالع علم الحديث وما يتعلق به كثير المطالعة. كان ينظر في كتب الحديث ويستخرج منها أحكاما دينية ويستنبط منها مسائل فقهية وما تيسر له من كتب متون الحديث بعد الصحاح الستة من "مسند الدارمي" و "سنن دارقطني" و"مصنف ابن أبي شيبة" و مجمع الزوائد"، للحافظ نورالدين الهيثمي، و"الجاكع الصغير" للسيوطي، وكنز العمال "للشيخ حسام الدين على المتقي، بالإضافة إلى ماقدر الله تعالى له من مطالعة كتب الحديث من المطبوعات والمخطوطات في زوايا الهند، وديار الحرمين الشريفين ما لا يعلمه الإ الله[57].

قوة ذاكرته ومواهبه:

وقد وهبه الله مواهب كثيرة فهو كان شهيرا بين معاصريه بقوة ذاكرته، وفرط ذكائه إنّ للإمام الكشميري موهبات عجيبة من خصوبة العقل، وقوة الذاكرة،

[57] المرجع السابق، ص: 232.

والذكاء الباهر، فما كان يسمع كلمة إلا ويحفظها، ويعيها، ويقيدها في ذهنه فلم تخنه ذاكرته مدة حياته[58]

نبوغه وعبقريته:

إنه درس فأفاد، وألف فأجاد، وقد أكسبته كتبه ومؤلفاته شهرة واسعة وصيتا ذائعا ليس فقط في الهند، بل في العالم كله إنه كتبه نالت إقبالا جماهيريا كبيرا طار صيت الإمام الكشميري في الآفاق، وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، وظهرت براعته في الحديث، والفقه والأصول، والعلوم الأخرى الإسلامية، وأقبل عليه العلماء والباحثون والمتخصصون في العلوم الدينية للاستفادة منه والارتواء من منهله العلمي العذب الصافي.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى ليلة الإثنين ، الثالثة من صفر 1353 من الهجرة بديوبند ودفن بها بالجانب الجنوبي من مصلى العيد[59].

---

[58] فيض الباري، **151/4**

[59] نفحة العنبر، ص: **19–20**

المحدث وشيخ الإسلام أحمد حسين المدني

ولد الشيخ حسين أحمد المدني في التاسع والعشرين من شوال سنة 1296هـ بقرية بانكو مئو من أعمال أناؤ، بولاية أترابراديش. ويتصل نسبه بسيدنا حسين بن علي بن أبي طالب ﷺ[60]. وعاش بقريته أربع عشرة سنة في كنف أبيه وتحت رعايته، وتلقى الدروس الابتدائية في هذه المدة، ثم التحق بجامعة دار العلوم ديوبند في 1309هـ، وتلقى العلوم العالية والآلية تحت رعاية شيخ الهند محمود حسن الديوبندي،[61] فقرأ عليه صحيح البخاري وسنن أبي داؤد السجستاني وسنن الترمذي ومؤطا الإمام مالك ومؤطا الإمام محمد، وقرأ صحيح مسلم وسنن النسائي على الشيخ عبد العلي وتخرج في 1314هـ[62].

كان الشيخ حسين أحمد المدني عالما جليلا، ومحدثا كبيرا، ومجاهدا نبيلا، وقائدا عظيما إنه لعب دورا كبيرا في حركة تحرير الهند من براثن الاستعمار الغاشم خدم الإسلام والمسلمين خدمة عظيمة، واشتهر الشيخ بالصلاح والتقوى، وحسن السيرة والسلوك، وكان مكرما في الأوساط العلمية. كان يعرف

---

[60] نقش حيات ص: 16.

[61] نبذة من حياة الشيخ حسين أحمد مدني، ص: 3–4

[62] نقش حيات، ص: 45

بطول باعه وعلو كعبه المباحث الأصولية، والمعارف الفقهية، وكان أكبر همه توجيه الخلق إلى الخالق جل شأنه، وكانت له قدم راسخة وباع طويل في إرشاد الطالبين والدلالة على معالم الرشد والهداية. يقول العلامة عبد الحى الحسني:

"وكان الشيخ حسين أحمد المدني من نوادر العصر وأفذاذ الرجال صدقا وإخلاصا، وعلو همة وقوة إرادة وشهامة نفس، وصبرا على المكاره، ومسامحة للأعداء، يشفع لهم ويسعى في قضاء حوائجهم، وثباتا على المبدأ ورحابة ذرع، وسعة صدر، وجمعا لأشتات من الفضائل، والمتناقضات من الأعمال، له نزاهة لاترتقي إليها شبهة، وهمة لا تعرف الفتور والكسل، واشتغال دائم لا يتطرق إليه الملل"[63].

وكان حركة دائبة في الهند، وشعلة وضاءة، دائم الترحال بين أنحاء الهند، يخطب هناك ويحاضر هناك، ويرشد هناك، وكان من الأوابين الخاشعين والأتقياء الصالحين، وقد لقب بـ"شيخ الإسلام" و"شيخ الحرم" لدى الأئمة الأعلام وكبار رجال الدين.

---

[63] نزهة الخواطر، **8/ 119**

وكان فياض الخاطر، حلو المنطق، عذب الحديث، لطيف المعاشرة، ذكيا لفوائد، جيل العلم، كلما كان يتكلم كأن العلم يتفجر من جوانبه، والفكر يفيض حول كلامه، فكان الناس يجدون لذة وحلاوة في مجالسه العلمية ، وكان مجاهدا بقلمه ويده ولسانه، وشمخا بايمانه القوي"[64].

هجرته إلى المدينة المنورة:

هاجر الشيخ مع والده إلى المدينة المنورة سنة 1316هـ، ولقي بمكة المكرمة الشيخ الجليل إمداد الله، فاستفاد منه، ودرس زهاء ثلثة عشر عاما في المسجد النبوي، تخرج عليه المتخرجون، وارتوى من فيضه المشتاقون، ولقب بشيخ الحرم وإمام الدين.[65]

وقد ساهم الشيخ حسين أحمد المدني في الجهاد وأسر مع أستاذه محمود حسن، وسجن معه في مالطا، وحفظ القرآن الكريم، وأعان شيخه في ترجمة القرآن الكريم المعروف بـ "ترجمة شيخ الهند"، وقضى ثلاث سنوات في السجن.

---

[64] نبذة من سيرة الشيخ حسين أحمد المدني، ص: 2

[65] المصدر السابق ص: 7،8.

ثم أطلق سراحهما في 1238/6/22هـ. وأقام بالهند لشدة احتياج الناس إليه في الأمور الدينية والسياسية[66].

التدريس في جامعة دارالعلوم ديوبند:

إن الشيخ قام بمهمة التدريس خير قيام إنه سافر إلى مناطق مختلفة في الهند يعلم الطلاب ويدرسهم علوم الحديث والقرآن والعلوم الدينية الأخرى وبعد ما درس الشيخ في مدرسة أمروهة وكولكاتا وسهلت من ولاية آسام عين رئيسا لهيئة التدريس من قبل أعضاء المجلس الاستشاري وعلى رأسهم حكيم الأمة محمد أشرف على التهانوي حينما استقال المحدث الجليل أنورشاه الكشميري في 1346هـ ، وانتقل إلى جامعة دابهل في غوجرات[67]، ودام الشيخ على هذا المنصب حتى وفاته في 1377هـ.

ودرس الكتب والعلوم المهمة، ولكنه اعتني بالحديث الشريف وما يتعلق به أشد اعتناء تدريسا وتحقيقا، وكان مشغولا بهذا العلم الشريف ومولعا بدرسه وتدريسه وعاش طيلة حياته خادما له مدافعا عنه، وكان لدراسته للحديث اقبال كبير وأثر عظيم.

---

[66] المصدر السابق ص: **12-13**

[67] العناقيد الغالية من الأسانيد العالية، ص: 108-109

مؤلفاته:

لم يعكف الشيخ المدني على التصنيف والتاليف كثيرا، لأنه لم تتوفر له الفرصة ومع هذا توجد بعض مؤلفاته، منها "الشهاب الثاقب على المسترق الكاتب"، فيه رد على بعض المبتدعين ومنها "نقش حيات" وهو مجموع أحواله، ألفه بنفسه، وطبع في مجلدين. وقد رتب تلميذه الشيخ علي أحمد الخيلي أماليه الدراسية على سنن الترمذى بالعربية، طبع باسم" هدية المجتبى من فيوض الحبر المدني".

نبذة عن أوصافه:

كان الشيخ مربوع القامة كبير الهامة، عريض الجبهة، واسع العينين، أسمر اللون، جسيما، مفتول الذراعين، قوى البنية، وقورا مهيبا في غير عبوس أوفظاظة، طلق الوجه، دائم البشر، وكان يلتزم الملابس الثخينة من النسج الوطني، وكان شديد البغض للاتجليز، شديد الحب في الله، وكان شديد العبادة والإجتهاد في رمضان، وكان يؤمه مآت من المسترشدين، ويقومون معه في ليالي رمضان ويتحول المكان الذي يقضى فيه رمضان إلى زاوية عامرة بالذكر والتلاوة والسهر والعبادة[68].

[68] نزهة الخواطر، **120/8–121**.

العلامة شبير أحمد العثماني

ولد هذا العالم النحرير شبير أحمد بن فضل الرحمن العثماني الديوبندي الباكستاني في 10 محرم الحرام سنة 1305هـ الموافق سنة 1887م بمدينة "بريلي" بولاية أترابراديش الهند، حيث كان أبوه الشيخ فضل الرحمن العثماني الديوبندي موظفا في مصلحة الإشراف على المدارس والكليات الحكومية وهو من المساهمين في تأسيس جامعة دار العلوم ديوبند.

نشأته ودراسته:

إنه تلقى مبادئ العلوم في بيته في عهد صباه ثم التحق عام 1319هـ بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند وارتوى من معارف الشيخ محمود حسن وتخرج في الجامعة عام 1325هـ -1907م بعد أن تضلع من العلوم الدينية.

إسهاماته في تحرير الهند:

وقد ساهم العلامة شبير أحمد العثماني مساهمة جادة وفعالة في كفاح تحرير الهند ضد الإنجليز، ولعب دورا بارزا في النشاطات السياسية التي كانت الهند تمر بها، فقد كان عضوا متحمسا بارزا في "حركة الخلافة" وقام بخدمات مشكورة لصالح دولة تركيا حيث جمع التبرعات المالية للدولة، وذلك عندما

اندلعت نار الحرب في منطقة "بلقان" عام 1333هـ، الموافق عام 1914م كما أنه بقي عضوا في اللجنة التنفيذية لجمعية علماء الهند لمدة طويلة، وزعيما كبيرا من صف قادتها.

ولما تم تقسيم البلاد إلى الهند وباكستان في عام 1947م فإنه هاجر مع أسرته إلى باكستان، وقد كان في طليعة من العلماء المسلمين الذين شمروا عن ساق جدهم لتمهيد السبيل إلى إنشاء دولة مستقلة للمسلمين، وألفوا كتبا وكتيبات كثيرة.

وظيفة التدريس:

وبعد أن فرغ من تحصيل العلوم فإنه انتخب مدرسا في المدرسة الإسلامية الواقعة في جامع فتح فوري دهلي، وعين رئيس المدرسين بها، ثم دعاه أرباب جامعة دار العلوم ديوبند في 1328هـ. وعينوه مدرسا للدراسات العليا، فدرس وأفاد وحدث وأجاد، ومن أهم الكتب التي درسها صحيح الإمام مسلم، واستمر في التدريس في جامعة ديوبند إلى 1346هـ ثم رحل إلى الجامعة الإسلامية بدابهل مع رفقائه الأعلام كشيخ المحدثين محمد أنورشاه الكشميري والشيخ المفتي عزيز الرحمن الديوبندي. فأقام هناك يدرس الحديث والتفسير عدة سنين، وبعد أن

توفي العلامة محمد أنورشاه الكشميري انتخب شيخ الحديث في نفس الجامعة ثم عاد إلى جامعة دارالعلوم ديوبند في 1354هـ بأمر من حكيم الأمة التهانوي وآخرين من كبار العلماء وعين عميدها، ولم يزل على هذا المنصب الجليل إلى 1362هـ ثم استقال من هذا المنصب وعاد إلى "دابهل".[69]

تلاميذه الكبار:

وقد تلمذ عليه عدد كبير من العلماء الكبار الذي اشتهرو فيما بعد بكتبهم ومؤلفاتهم وأعمالهم ومن تلاميذه المشاهير المفتي محمد شفيع الديوبندي والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ بدر عالم الميرتهي والشيخ السيد مناظر أحسن الجيلاني، والشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي والشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي والشيخ محمديوسف البنوري والشيخ أطهر علي السلهتي، والشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي.[70]

مؤلفاته:

بالإضافة إلى أدائه لمهمة التدريس، فإن الأستاذ كان دائما مشغولا بتأليف المؤلفات ولم يزل طول حياته مشغولا بالتأليف فصنف كتبا كثيرة يزيد عددها

---

[69] تاريخ دارالعلوم ديوبند، ج 2، ص: 98-99

[70] أكابر علماء ديوبند ص: 95

على عشرين كتابا، من أجلها "تفسير القرآن العظيم" بالأدردية وهو تفسير عظيم، طبع مرارا في الهند وباكستان، وتلقاه العلماء الكبار بالقبول العظيم ومن أعظم مؤلفاته "فتح الملهم في شرح الصحيح لمسلم" ولقد هب على هذا الشرح نسيم القبول بين العلماء الفحول في العرب والعجم وأثنى عليه كبار المحدثين.

وفاته:

توفي الشيخ في 21 صفر1369هـ في بهاولفور (بنجاب) ونقل جثمانه إلى كراتشي حيث دفن.

الشيخ المفتي الكبير عزيز الرحمن الديوبندي

ولد الشيخ عزيز الرحمن سنة 1275هـ في أسرة كريمة يتصل نسبها بسيدنا عثمان بن عفان رضي الله، وكان والده الشيخ فضل الرحمن من علماء زمانه وفقهاء عصره، وكان من أصدقاء حجة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي سمي صاحب الترجمة بـ"ظفر الدين" إسما تاريخيا.

طلبه للعلم:

التحق بدار العلوم ديوبند في قسم تحفيظ القرآن الكريم 1284هـ وفرغ من حفظ كتاب الله في 1287هـ ثم اشتغل بتعليم الكتب المتداولة في دار العلوم ديوبند على عصابة العلوم الفاضلة، وفرغ من تحصيل العلوم 1395هـ، واستلم الشهادة والعمامة من يد الفقيه الرباني رشيد أحمد الكنكوهي.[71]

التدريس والإفادة:

بعد ما فرغ من تحصيل العلوم العالية عين مدرسا مساعدا بدار العلوم ديوبند، واشتغل بتحرير الفتاوى تحت اشراف استاذه محمد يعقوب ثم ارتحل إلى ميرته واشتغل بالتدريس والإفادة في المدرسة الإسلامية بـ"اندركوت" بقي نالك مدة ثم

---

[71] تاريخ دارالعلوم ديوبند، ج 2 ، ص: 45

اختير نائب الرئيس بدارالعلوم ديوبند، ووبعد عام ولي التدريس والإفتاء بها[72] ودرس في جامعة بدارالعلوم ديوبند التفسير والحديث والفقه، ودرس في الحديث "مؤطا الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى وبرواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وشرح معاني الآثار للإمام الطحاوي، ومشكواة المصابيح للتبريزي، ودرس في أصول الحديث شرح نخبة الفكر للعسقلاني، وداوم على التدريس والإفتاء في جامعة ديوبند الإسلامية، ثم غادرها مع الإمام المحدث مولانا أنورشاه الكشميري، ومع أخيه المحدث مولانا شبير أحمد العثماني، وتوجه إلى دابهل فيث ولاية غوجرات، حيث أقام يدرس و يفيد.[73]

مؤلفاته:

إن الشيخ لم يهتم بالتأليف والتصنيف مثل اهتمامه بالتدريس وإلقائه المحاضرات كان قليل الإشتغال بالتاليف والتصنيف، وله حاشية على كتاب الشيخ الجليل الشاه عبد العزيز الدهلوي"ميزان البلاغة" وترجم تفسير الجلالين بالأردية.[74]

---

[72] المرجع السابق، ج 2، ص: 45

[73] نوهة الخواطر، 320/8

[74] تاريخ دارالعلوم ديوبند، ج 2 ص: 48

توليه منصب الإفتاء:

فتاواه تمتاز بأنها جاءت في أسلوب أوفي بأعذب بيان وفي تبيان، في أسهل عبارة لاتخل ولاتمل، كان مرجعا في الفتاوى للخواص والعوام معا وكانت قلوب العلماء تطمئن بفتاواه في المسائل المشكلة التي صعب عليهم حل عقدتها، وقد طبع بعض فتاواه تلميذه البار محمد شفيع الديوبندي باسم "عزيز الفتاوى" في مجلد واحد ضخيم.[75]

تلاميذه:

تلمذ عليه جماعة من العلماء منهم المفتي محمد شفيع الديوبندي المفتي الأكبر لدولة باكستان، ومؤسس جامعة دارالعلوم بكراتشي، وشيخ الحديث محمد ادريس الكاندهلوي (صاحي التعليق الصحيح على مشكواة المصابيح)، وشيخ الحديث بالجامعة الأشرفية بلاهور سابقا) والشيخ السيد بدرعالم الميرتهي المهاجر المدني (صاحب ترجمان السنة والتعليقات على فيض الباري) والشيخ القاري محمد طيب (رئيس جامعة ديوبند الإسلامية سابقا) والشيخ الجليل مناظر حسن الكيلاني

[75] علماء ديوبند خدماتهم عي علم الحديث، الدكتور عبدالحمن البرني، ص: **105**

(صاحب مؤلفات نافعة) والشيخ المفتي عتيق الرحمن العثماني ، الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي (مؤلف قصص القرآن) رحمهم الله تعالى.[76]

[76] أكابرعلماء ديوبند، ص: 57– 58

الفصل الثالث

مقاومة الشيخ يوسف البنوري الفرق الضالة

الشيخ يوسف البنوري وكفاحه:

إنه – رحمه الله تعالى – مع قيامه بالتدريس والتصنيف مازال يكافح الفرق الزائغة، والمذاهب الهدامة، والأفكار الإلحادية، والآراء اللادينية، وله جهود جبارة في سبيل إخماد هذه الفتن، واشترك في جهاد الحرية واستخلاص الوطن من أيد غاصبة، وما ذلك إلى لكون صلته بالله قوية وإيمانه راسخا، تجد فيه غيرة إيمانية، وشجاعة دينية، وحماسا في سبيل الإيمان والدين، وفيما يلي نبذة إجمالية لمكافحته الفرق الهدامة الضالة :

فتنة عناية الله المشرقي:

وكان المشرقي صاحب لواء "حزب خاركساران"، وقد كافحه الشيخ كفاحا شديدا لمارأى سكان بشاوريتأثرون بأكاذيبه ومختلفاته؛ فناظره وباهله وبين للناس دجله ، ولما سافر إلى مصركتب عنه في مجلة " الإسلام" الأسبوعية في عددها الواحد والأربعين من المجلد السابع لسنة 1357 من الهجرة وحض العلماء على أن يتنبهوا لأفكاره الهدامة ويلقموا الأحجار في أفواه هؤلاء الملاحدة، وقد أفتى علماء مصرأن آراء المشرقي كفرصريح وإلحاد ظاهر". وكتب في مقاله :

"عار والله على الذين يحملون لواء الدين وينوءون بثقل أعبائه على أكتافهم أن يسكنوا على مثل هذه الحالة المنكرة الفظيعة، أو يقصروا في القيام للدفاع بالقدر الذي يستحقه هذا الفشل وتتطلبه تلك الفوضى وكتب عن تفسيره "التذكرة" في كتابه "يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن".[77]

ومن تفاسير أهل الباطل تفسير لعناية الله المشرقي الأمرتسري سماه "التذكرة" وحال الرجل أشهرمن نارعلى علم، وهو على طريقة السيد أحمد خان الذي ذكر حاله في هدم أصول الإسلام، واتفق رأيه حذو القذة بالقذة في أكثرأصوله سواء بسواء، ولما ألف تذكرته هذه وطبعها ورآها علماء الحق أكفروه بالإجماع ولم يتخلف عنه أحد من أهل الحق.[78] ثم أخذ يعدد هفواته وأباطيله وختم الكلام عليه بقوله: "و بالجملة، وجوه كفر الرجل أكثر من أن تستقصى في هذا الموضع".[79]

وقد ماتت هذه الفتنة حتف أنفه وصارالأمر كما كتب الشيخ في نهاية مقاله :

إذا جاء نهرالله بطل نهرمعقل .

---

[77] مجلة البينات،العدد الخاص، ص: **287**

[78] القصائد البنورية، ص: **19**

[79] نفس المصدر، ص: **19**

وقد ألف الشيخ رسالته"بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب" ردا على هذا الضال بأن جهة القبلة في بلادنا غيرصحيحة ولاتجوز الصلاة إلى هذه الجهة التي تصلى إليها عندنا، فرد الشيخ على هذا الرجل وأبطل قوله بالحجة والبراهين القاطعة بهذه الرسالة اللطيفة .

فتنة غلام أحمد برويز:

قاوم فتنة إنكارحجية الحديث والسنة "فتنة برويز" وأعوانه، وكان برويز أسس جمعية باسم "طلوع الإسلام" ونشرمن هذا المركز الآراء الهدامة ، وأساسها أن القرآن الكريم يكفي للهداية، والحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه، فالحرام هي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغيرالله به وماعداها حلال لما ورد في الآية الكريمة : "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به" وأعلن أن الأحكام القرآنية كانت موقتة، وزاد الطين بلة إعانة أرباب الحكومة له؛ ففطن الشيخ لفظاعة الأمر فقام لمقاومته وبجهوده أصدرت الفتوى وقد كتبها العلامة الشيخ المفتي ولي حسن وعليها توقيعات علماء الأمة من باكستان والهند والحرمين الشريفين ومصر والشام ما يزيد عددهم ألف عالم فقيه ومفت وكلهم أجمع على أن هذا الرجل ومن يدعي مثل هذه الدعاوى لاصلة له بالإسلام وبذلك

ماتت هذه الفتنة ميتة سوء ورد الله كيد الكافرين ومكر المفسدين ، ومكروا ومكر الله والله خيرالماكرين.[80]

فتنة الدكتور فضل الرحمان:

إن الرئيس جنرال محمد أيوب خان الرئيس الباكستاني آنذاك -أسس مجمعا للبحوث الإسسلامية، وبالأسف لم يكن هذا المجمع مجمعا علميا للبحوث الإسلامية بل كان مجمعا للتنقب في الدين وتحريفه، وتغيير وجهة نظرعامة المسلمين عنه كي يضعف صلتهم بالدين، ولذلك انتخب له رجالا لاصلة لهم بالعموم الإسلامية ولافيهم غيرة دينية بل جل همهم تحريف الدين، وطلب الدكتور فضل الرحمان المستشرق من "جامعة ميككل" لرئاسة هذا المجمع، وإن هذا الرجل أراد أن يقبله العلماء فاتصل بهم في بدء أمره وأظهر لهم أنه يريد خدمة الإسلام والدين ويحتاج إلى معونتهم، وبناء على رغبته ذهب الشيخ –رحمه الله – إلى مجمع البحوث الإسلامية مرة وبين لهم طريق الصواب وسبيل الرشاد، ولكن كل إناء يرضخ بما فيه أصدر الرجل وأعوانه بيانات وكلمات تخالف أصول

[80] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: **49–50**

الدين، وحرفوا في الدين، وأنكروا الأحاديث النبوية وأحلوا الخمر والربا وغير ذلك من الهفوات.

ونظراً إلى ذلك قام الشيخ بالدفاع عن الدين الحنيف ورد ماكان يصدره هؤلاء في مجلتهم الشهرية "فكر ونظر" رده بلسانه وقلمه وبمجلته الشهرية "بينات" وأرسل على هؤلاء الطواغيت شهبا ثاقبة ، واضطربت لذلك الأمة المحمدية واضطربت الحكومة إلى أن تعزله عن رئاسة المجمع وبذلك قمع فتنته ورجع الرجل إلى حيث أتى.[81]

الشيخ البنوري ونقده الأستاذ المودودي:

إن الأستاذ المودودي بدأ حياته كصحفي ثم جعل يدعو الناس إلى إنشاء حكومة صالحة إسلامية وأخذ يتقدم إلى أن شكل جماعة باسم "الجماعة الإسلامية" لبذل الجهود لإنشاء حكومة إسلامية صالحة باسم " تجديد الدين وإحيائه" ولبى الشعب المسلم على دعوته حيث كانوا تحت ظل الحكومة البريطانية ، وكانوا ينتظرون إنشاء الحكومة الإسلامية، فلما رأى الناس الاسم

[81] القصائد البنورية، ص: **20–21**

الحسن لدعوته والصورة الطيبة لندائه لبوا على دعوته زاعمين فيها شفاء غلتهم ولكن بالأسف ظهر من قلمه ولسانه ما نبه العلماء على هذه الأخطاء وتفرسوا الخطرات في أفكاره من الزيغ والانحراف والطعن على السلف من أقدم العصورإلى اليوم ، وبناء على ذلك أصدرمركز الفتوى في الهند ورئاسة دار الإفتاء في دارالعلوم بديوبند الفتوى في الأستاذ المذكور وجماعته وحذروا المسلمين عن المشاركة معه في جماعته وأن من يتبعه ويقول بقوله فهو آثم وعاص.[82]

وقد اتخذ العلماء وجهابذة الدين قرارا في حقه وحق جماعته وقالوا :

"إن مطالعة كتبه وتآليفه وحزبه يجعل الناس في حرية من اتباع ائمة الدين وأن لايبقى لهم صلة بهم الذي يتسبب لضلالهم ويضعف صلتهم بالدين وبالصحابة حملة الدين وناقليه فنحن نعلن براءتنا عن هذه الجماعة وقد اتفق على هذا القرار الأجلة من العلماء والمفتيين الذين كان عليهم مدار الفتوى ، ثم صدر هذا القرار منهم قبل أن يظهرمن الأستاذ المذكور ما بدأ في الأيام الأخيرة من شدة شكيمته في الطعن على الصحابة والتابعين، ولم يكن إذ ذاك صاحب تفسير ولاصاحب "تجديد دين " ولاصاحب "خلافة وملوكية " ما احتوى طامات

[82] الأستاذ المودودي، العلامة يوسف البنوري وشئ من حياته وأفكاره، ص: 1–50

ولو رأوا ما رأينا وبدالهم ما بدا لنا لكان حكمهم أشد ولكنهم لفراستهم الإيمانية تفرسوا الخطر ببصائرهم ونصحوا القوم بالاحتراز والتجنب".[83]

وقد نقد البنوري –رحمه الله – في كتيبه باسم "الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره "الأستاذ في آرائه التي تخالف الدين وتناقضه حرصا لإبقاء آخرته ونصحا له وإرشادا شأن الأبرار المتقين ولم يخف في ذلك لومة لائم وكان يعرف أن له ولجماعته صلات بالدول العربية حيث يقدرون جهوده لعدم أطلاعهم على هذه الطامات حيث لم تترجم هذه الأشياء المنكرة بالعربية ولوعرف إخواننا العرب ذلك لما عظموه ولما أيدوه شأنهم مع كل من يخالف الدين. وكتب الشيخ البنوري -رحمه الله تعالى- في الجزء الثاني من كتابه "الأستاذ المودودي"

"ثم أنا أدري أن جماعته وحزبه لهم أموال طائلة في البلاد وخارجها ولهم وسائل شتى من الجرائد والمجلات ، وأقلام ومحابر، ولهم حماة ورعاة ، ولهم إدارات وجمعيات، وعندهم من تنظيم للدعاية ما يدهش الحليم حيرانا ، وكم من باكستاني وهندي وعربي، وكم من جاهل صحفي أصبح مغرورا بسمتهم لأجل دعايتهم ، وبعض منهم ممن يتظاهر بشيء المظاهر ليس له هم إلا المال والجاه ،

[83] نفس المصدر، ص: **48–49**

يطوف في البلاد لجمع الأموال بأسماء كاذبة ما لها حقيقة بكل زور وتلبيس لايخشى الله ولايوم الحساب، ولايخاف المقام عند رب الأرباب، فأمثال هؤلاء يفتتحون أفواههم بالازدراء وأقلامهم بالافتراء، عاملهم الله بعدله أوهداهم إلى الحق بفضله " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون."[84]

وبعد أن انتقد كلامه في الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم وضروريات الدين كتب في نهاية البحث :

" إن كلامه في حق الأنبياء والرسل كلام كله فظيع لايستساغ ولايتحمل وكذلك في حق الصحابة عليهم رضوان الله ، فهذا هو "تفهيمه" لاأدري ولست إخال أدري كيف يخفي على الناظرين المغرمين به أمثال هذه الأمور، فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، فرحم الله من أنصف، وانقاد للحق ولم يتعسف."[85]

---

[84] نفس المصدر، ص: 2-3

[85] نفس المصدر، ص: 3-42

فقام الشيخ –رحمه الله – ينقد عليه هذه الأشياء وأصدر جزئين من كتابه الذي نوى أن يكمله في عشرة أجزاء ولكن سبقته المنية وانتقل إلى رحمة الله تعالى فجزاه الله خيرا عن الدين والإسلام والمسلمين .

والجدير بالذكر لم تكن هذه التلبيسات مخفية عن الناس ولذا قام بالرد عليه كثيرون من العلماء من جميع الطوائف الإسلامية حتى العلماء الذين كانوا معه في بدء أمره ولما ظهرت لهم هذه المنكرات تركوه وأظهروا للناس بطلانها وأدوا بذلك واجبهم ولكن لم تظهر صوتهم لدعاية هذه الجماعة وسلطتهم على الأموال والمناصب، والله يهدي الأمة المسلمة إلى مافيه الخير والنجاة، والتوفيق والسداد.

الفتنة القاديانية:

وهذه أكبر فتنة ظهرت في القرن الثامن عشر في عهد الإستعمار البريطاني وقد تنبه له قديما علماء كبار، وأصدروا الفتوى بكفرمن ينكرختم النبوة، وقام لمقاومة هذه الفتنة كل من المشايخ: قطب الأمة الشيخ الحاج إمداد الله المكي والشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دارالعلوم الديوبندية وغيرهما من أرباب العلم والدين ، وقد بذل كل جهوده وقاوم لاستئصال هذه الفتنة الشيخ إمام

العصر محمد أنورشاه الكشميري المتوفي 1352 من الهجرة -رحمه الله - ويروي عنه الشيخ البنوري خشية أن لاتسبب هذه الفتنة لزوال الدين المحمدي، ولكن بعد مضى هذه المدة شرح الله صدري أن هذا الدين يبقى وتزهق هذه الفتنة ، وكان يقول الشيخ البنوري عن أستاذه أنور شاه الكشميري: "مارأيت عالما أشد قلقا من الشيخ الأنور كأنه أصيب فؤاده والدم ينزف منه، وقد كتب عدة كتب نفسية قيمة ردا لهذه الفتنة كما قد وجه كثيرا من أصحاب التأليف للرد على هذه الفئة الضالة"[86] فيكتب عنه الشيخ البنوري-رحمه الله – في علقه النفيس " نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ أنور "مالفظه:

"فانتهض الشيخ – رحمه الله – لدفع مزخر فاتهم وصلم عروقهم، وكانت لطيفة إلهية ، وأخذته الحمية الدينية ، وأغرته الغيرة الإسلامية، فسرى البغض مع هذه الفئة الملعونة والثلة الطاغية في الله ولله في سويداء قلبه، وقد شاهدنا مثالا حيا ناطقا للحب في الله والبغض في الله، فشمر عن ساعد الهمة وساق الجد لمكافحة هؤلاء المردة، فحذر وبلغ، وأرشد الأمة إلى الحق الصراح، ونبأهم على ذلك الكفر البواح، وصنف في هذا الباب رسائل عديدة وجيزة وبسيطة،

[86] القصائد البنورية، ص:24

أيقظ فيها العلماء والفضلاء عن رقدات الغفلة وحضهم لمقاومة هذه الفتنة بكل ما أمكن تبليغا وتصنيفا ، وأعان أصحابه وتلامذته بذخائر العلم للتصنيف والتأليف وإشاعة للناس تحذيرا لهم عن مكائد هؤلاء الملرقين، حتى بلغ نداؤه بأرجاء الهند القصوى، ونبه قاطنيه من ساحل البحر المحيط إلى شواهق كشمير إلى بلاد الأفغان، بل جميع ما ارتج اليوم في العالم الإسلامي من العراق والشام ومصر والحجاز من التشنيع على هذه الفئة كل ذلك ببركة مساعيه الجميلة التي ألزمت على الملة وهداة الأمة أن يقدروها ويمكنوها في حنايا الصدور وحبات القلوب، وهذا الذي ترى اليوم في أرجاء الهند من تأسيس لجنات، وانعقاد اجتماعات حافلة، وإجراء الجرائد والمجلات لحسم عروق هذه الفتنة المتأصلة لاسيما مساعي "جمعية الأحرار" ورئيس شعبة تبليغها المجاهد الباسل غشمشم الأمة خطيب القوم مولانا عطاء الله شاه البخاري – أطال الله بقاءه وزاد همته وإخلاصه -كل ذلك من مآثره السنية الباقية على صفحات الدهر ، وسنته الحسنة السائرة بين المسلمين ، فأباد الله بسعيه الحثيث وجهده المثمر خضراء هم حتى حصحص الحق، وزال الرين، وانكشف الغين، وبين الصبح لذي عينين من العالم والأمى والخاصي والعامي ، وأصبح كفر هؤلاء المارقين من الدين أبين

من فرق الصديع بحيث لم يبق مجال للمرتاب ولامساغ للمتأول، إذ قد عم نداؤه البلاد، وانتبه الرقاد، فخدم الملة وذب عن حريم العقيدة الإسلامية، ودافع عن حوزتها، وهكذا سنة الله خلت لي عبادة على ممر الدهور وتعاقب الأدوار، يضرب الحق على الباطل أينما سار ودار".[87]

وقد ورث الشيخ البنوري كل ذلك عن شيخه إمام العصر الكشميري رحمه ا الله تعالى ، فكان من بدء أمره يقلق لهذه الفتنة ويكافح عن الإسلام ، ويحدث الشيخ العلامة محمد لطف الله البشاوري عن مكافحته في بشاور فيقول: نبئنا أن الفئة المرزائية تسعى للسيطرة على قلوب المسلمين ببشاور وغلام حسين القادياني كان يفسر القرآن الكريم للطلبة والمحامين، وبذلك كان يسعى سعيا حثيثا إلى الأمام ، وكان القاديانيون يحتفلون حفلة كل سنة بإسم " يوم النبي" ويدعون فيها كبار أرباب الحكومة ، فرأينا أنهم أعلنوا للحفلة في "إسلامي كلب" وكنت آنذاك مدرسا في المدرسة الثانوية، فتشاورت مع الشيخ البنوري وسوينا له برنامجا، وأخبرنا الطلبة عن نوايا هذه الفئة الضالة، ولما حان الموعد ذهبنا إلى مكان الحفلة مع مسلمي بشاور ولما أراد القاديانيون ابتداء الحفلة أعلنا أن أهل

---

[87] نفحة العنبر، ص: **188–189**

الملة الإسلامية يحتفلون اليوم في هذا المكان، فبدأ الجدال بيننا وبين القاديانين، ولكن الله أعاننا وفروا مدبرين، فقام الشيخ البنوري وخطب خطابا حكيما، وموعظة بليغة، ومن ذاك اليوم ومن بعد تلك الفضيحة ما استطاع القاديانيون أن يضللوا المسلمين أو يقيموا حفلة في بشاور، وكذلك عند ذهابه إلى مصر لطبع بعض الكتب عن المجلس العلمي نبه علماء العرب على هذه الفتنة، وأخبرهم عن دسائس هذه النحلة، وعند ما بدأت الحركة الشعبية الأولى ضد القاديانية سنة 1353من الهجرة، كان الشيخ –رحمه الله – إذ ذاك شيخ التفسير في دار العلوم الإسلامية بـ"تندو الله يار"، ولكن لم يلقه قرار ولاطاوعه اصطبار حتى خرج قائدا لمظاهرة شعبية، وبذل كل جهوده لعون المسلمين ولكن لم تنجح هذه الحركة لعدم توحيد كلمة المسلمين، ولما رأى هذه النابغة فشل المسلمين في هذه المعركة بدأ يجاهد من جهات مختلفة جهادا سريا، فكان يكتب خطابات إلى رؤساء المسلمين وقادة أهل الإسلام ، ويوضح لهم مكائد هذه الفئة الطاغية ، كما كان يوضح لهم دسائسها عند اللقاءات بين حين فآخر في زيارات ودية أو في المؤتمرات كما كان له صلة قوية مع سفراء الحكومات الإسلامية ، وكان لايضيع فرصة إلا ينتفع بها في هذا الصدد، كما كان يبين للعلماء وأرباب الفكر الذين يجتمع معهم

في المؤتمرات والحفلات الدينية، وكذلك جمع العلماء وأرباب الحماس الديني للعمل ضد هذه الشجرة الخبيثة، وأفادهم بآرائه القيمة وتوصياته المفيدة.[88]

وبم أن السعادة الأزلية قدرت أن تستأصل شأفة هذه النحلة بيديه انتخب لذلك رئيسا لمجلس تحفظ ختم النبوة، ومع كثرة أشغاله وبلوغه من العمر إلى ما بلغ وابتلاؤه بعديد من الأمراض وخصوصا بوجع الركبة ما زال يتردد ويعتذر عن قبول هذا المنصب ولكن أجبر على قبوله ، فقبله واشتغل يؤدي واجبه بجهوده الجبارة إلى أن حدثت حادثة "ربوة" حيث إن القاديانيين أخذوا الطلبة المسلمين المسافرين بالقطار التي تمر من "ربوة " أخذوهم وضربوهم وأوجعوهم وأدموهم، وبذلك قامت ثورة شعبية في عهد "ذوالفقار علي بهوتو" – الرئيس الباكستاني آنذاك – انتخبه جميع الأحزاب السياسية والدينية قائدا لهم، وأسسوا جمعية باسم " مجلس العمل " وانتخب له رئيسا، وقاد الأمة بقيادته ونتيجة لجهود المسلمين الجبارة وتضحيات الشعب المسلم وتفديتهم المهج والأموال في هذا السبيل نتيجة لذلك وللقيادة الحكيمة للجماعات الدينية والأحزاب السياسية الحكيمة اضطرت الحكومة بعد رد وكد، وبحث وتمحيص، على إصدار قرار

[88] القصائد البنورية، ص: **26**

بكون القاديانيين أقلية غير مسلمة باتفاق مجلس الأمة الباكستانية وذلك سنة 1974م، وهكذا أثمرت دعوات المسلمين وقطع الله شأفة هذه النحلة ورجعت إلى حيث أتت، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الباب الثالث

محمد يوسف البنوري: خدماته العلمية وعلم الحديث

الفصل الأول: أعمال الشيخ البنوري العلمية والدينية

الفصل الثاني: مقدمات علمية للشيخ يوسف البنوري

الفصل الأول: أعمال الشيخ محمد يوسف البنوري العلمية والدينية

خلفية تأسيس جامعة العلوم الإسلامية بنوري تاؤن كراتشي

نزل الشيخ رحمه الله بكراتشي بعد أن استقال من دارالعلوم الإسلامية بـ"تندو الله يار" بالسند" فتواردت عليه دعوات من مشاهير المعاهد الدينية والإدارات العلمية في باكستان المغربية من كراتشي إلى بشاور لرئاسة التدريس ولمسند شيخ الحديث فيها، لكن الشيخ لم يقبلها على ظن أنه بقي من عمره قدر قليل ولاينبغي إضاعته في تجارب جديدة، سنح له أن يؤسس مدرسة دينية يقوم فيها بتربية الطلبة كما يريد، وتدريس للعلوم كما أفادته التجارب الدراسية بمنهاج خاص يكون نافعا لأبناء الأمة.

لكن الأسباب كانت غير ميسرة والظروف كانت غير ملائمة فعزم على السفر إلى الحرمين للحج والزيارة ليستخير الله تعالى ويدعو في أماكن الإجابة وفي أوقات مخصوصة يستجاب فيها الدعاء، فسافر يوم الجمعة الرابع 12/ 1373هـ، وكان من أهم دعواه في تلك البقاع المقدسة لهذا المقصد الشريف ومكث في الحج عشرين يوما ثم سافر إلى المدينة المنورة ومكث بها اثنين وثلاثين

يوما، فوقع العزم على الاستقالة من دار العلوم الإسلامية وتأسيس معهد علمي مستقل.

ولما أن عاد من الديار المقدسة إلى باكستان بدأ العمل لتأسيس المدرسة مع رقيق لكن لم يتيسر الموافقة بينه وبين رفيقه فتركه[89] وتوجه إلى المسجد الجامع بـ"نيوتان" وقد وضع له الأساس كان أصحاب المسجد عينوا قطعة من الأرض بجنب المسجد للمدرسة، فاتفق والشيخ البنوري مع لجنة المسجد وأرباب الحي أن يفوضوا إليه أمر المدرسة وعمادتها، وبناء ها، وصرح لهم أنه لايريد منهم أية مساعدة مالية في هذا الصدد، فشرع رحمه الله في الأعمال المتواصلة للمدرسة في غاية التوكل على الله، ولم يكن هناك أي شيء من الحوائج الضرورية واستقرض من بعض التجار ثلاث مائة روبية، وقسم منه المكافأة الشهرية على الطلاب[90] وهكذا كانت البداية لهذا المعهد وسماه الشيخ "المدرسة العربية الإسلامية" تواضعا لله، وحرزا عن الأسماء التي تدل على جلالته أو مكانة جامعته، وأصبح هذا المعهد في عهد طفولته قبل شبابه ممتازا بمناهجه وحسن تعليمه ونظامه وتربيته، وهذه الميزات جعلت تهوي إليه نفوس وأفئدة، ولم تمض

[89] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: 22-23
[90] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: 22-23

عليه إلا أعوام عديدة وقد حوت في مكتبته النفيسة أمهات كتب الفنون والعلوم الدراسية والغير الدراسية التي قلما توجد مثلها في المعاهد الدينية المعاصرة له وأخواته من المدارس العربية، ويزداد هذا الكنز الثمين يوما فيوما والحمدلله، وأنشئت له عمارات وبنايات وفصول دراسية ومساكن الطلبة حسب الإمكانيات، وفيها فروع آتية :

1. فرع تحفيظ القرآن الكريم.

2. فرع المعهد الابتدائي.

3. الدرجة الإعدادية

4. القسم الثانوي

5. القسم العالي. ولما يتخرج الدارس من القسم العالي يتخرج وقد أكمل دراسة أمهات كتب العلوم والفنون والحديث وأصوله والفقه وأصوله ويمنح عند التخرج شهادة العالى بعد النجاح في اختبار ينعقد تحت إشراف "وفاق المدارس العربية" بملتان باكستان.

6. فرع التخصص في الحديث وعلومه، يقبل فيه من نجح بتقدير ممتاز نجاحا باهرا في الاختبار النهائي من "وفاق المدارس العربية" ويكلف الطالب أن يطالع في

هذه الفترة كتب أسماء الرجال والمصطلح، والجرح والتعديل، ومشكلات الحديث وشروح الحديث، ويشرف عليهم عالم جليل متخصص في هذا الموضوع، ويكتب الطالب مقالة في موضوع من إحدى مواضيع الحديث حسب المنهج المقررلهم، ويتم ذلك في حولين، ثم يمنح شهاة التخصص في الحديث لم يفوز في الاختبار النهائي، وذلك بتقديم المقالة عدا اختبارات الفترات الأولى والثانية والاختبار النهائي، ويشرف على هذا الفرع من التخصص فضيلة الشيخ المحدث محمد إدريس الميرتهي-حفظه الله تعالى- أستاذ الحديث والتفسير بالجامعة.

7. فرع التخصص في الفقه الإسلامي: وهو في تخصص الحديث من مطالعة أمهات كتب الفقه وأصوله، والتدريب على الإفتاء والقضاء، وكتابة مقالات في حل النوازل والحوادث، ويمنح الطالب الشهادة حسب مقالته، ويشرف عليه فضيلة الشيخ المحدث المفتي ولي حسن التونكي رئيس دارالإفتاء للجامعة وشيخ الحديث بها.

8. فرع التخصص في الدعوة والإرشاد لمكافحة الفرق الباطلة الهدامة والدفاع عن الدين الحنيف والملة البيضاء والسنة المحمدية، وطلاب هذا التخصص يجتازون هذه المرحلة نحو طلاب التخصص في الحديث والفقه، ومشرفه فضيلة

الشيخ الداعية محمد إسحاق الصديقي عضو مجلس الدعوة التحقيق الإسلامي بكراتشي باكستان.[91]

وكان يوسف البنوري –رحمه الله- يود أن يفتح فروعا أخرى للتخصصات منها التخصص في علوم القرآن ومشكلاته، والتخصص في علم الكلام والتوحيد، والتخصص في الأدب العربي واللغة، والتخصص في التاريخ الإسلامي، والتخصص في العلوم العصرية من الاقتصاد والمعيشة والسياسة والاجتماع علوم الطبيعية الحديثة، وكم حسرات في بطون المقابر، التحق الشيخ بالرفيق الأعلى بعد ما فتح ثلاثة فروع للتخصصات، فرحمه الله رحمة واسعة، وأفاض عليه من شآبيب رحمته وغواداي مزنه، ونور قبره وبرد مضجعه.

ويربو عدد الطلاب في هذا المعهد في أقسامه المختلفة على ألف ومائتي طالب وينتمون إلى نحو خمس وعشرين دولة من دول العالم، وقد تخرج منه آلاف العلماء والقراء والحفاظ والدعاة والمدرسين والمفتيين في هذه المدة القصيرة في شرخ شبابه وأبان فتوته، فهذه هي المدرسة العربية الإسلامية سابقا وجامعة

[91] القصائد البنورية، ص: 8-9

العلوم الإسلامية حالا، ورضى الشيخ رحمه الله بإسم الجامعة في آخر أيام حياته لبعض الظروف التي اقتضت تغيير إسمها بهذا الإسم.[92]

9. دارالإفتاء: يشتغل فيها أربعة من أرباب الفتوى، يفتون الأمة المسلمة في النوازل والاستفتاءات التي تصل إليها من أنحاء المعمورة.

11- مجلة "بينات" الشهرية باللغة الأردية السائدة في هذه البلاد، ورئيس التحرير لها الشيخ محمد يوسف اللدهيانوي، وهي كاسمها بينات في الدفاع عن الدين المتين والقضاء على كل إلحاد وزندقة، وكان الشيخ –رحمه الله- يكتب كلمة التحرير فيها بعنوان "بصائر وعبر" وهو كان يكتب المقالات العلمية، وهذه المجلة كانت ولايزال تتناول المواضيع من الأحوال الراهنة، وأفذاذ الأمة الراحلين إلى ديار الآخرة.

---

[92] القصائد البنورية، ص: 10

يوسف البنوري وتدريسه للعلوم:

قام بتدريس العلوم طيلة حياته السعيدة المليئة بالطاعات وخدمة الدين، درس كتب الفنون والحديث الشريف ومن أهمها الأمهات الست كان يدرسها تدريس بحث وتحقيق ولاسيما سنن أبي داؤد وجامع الترمذي وصحيح البخاري، وكان لايترك مسألة تحتاج إلى التحقيق حتى يقتلها بحثا، ودرس موطأ مالك وموطأ محمد ومقدمة ابن الصلاح كما كان له ملكة راسخة في التفسير، وكان يأتي بنكات تفسيرية دقيقة يدهش أرباب العلم سماعها ويطرب أرباب البصيرة الوقوف عليها، ولم يزل مدرسا للحديث النبوي إلى أن ارتحل إلى الديار الآخرة، ووهبه الله عزوجل قدما راسخا في علم الحديث وكان ذلك من ميزاته من بدء تدريسه ، ومن الطرائف أنه عند ما كان مدرسا في الجامعة الإسلامية بدابيل كان مدرس الحديث آنذاك ثلاثة من العلماء: الشيخ عبدالرحمن الأمروهوي، والشيخ بدرعالم الميرتهي ثم المدني، والشيخ البنوري –رحمهم الله جميعا – فتفرق الأمر فيمن يقوم بتدريس جامع الترمذي وصحيح البخاري وسنن أبي داؤد من الكتب الأساسية في الصف النهائي لطلبة الحديث، فاتفق أرباب المجلس للجامعة على أن يؤخذ رأي الطلبة في ذلك، فثلاثة من الطلاب أبدوا رأيهم لدراسته عند الشيخ

بدرعالم وسبعة منهم ذهبوا إلى تدريسه عند الشيخ عبدالرحمان الأمروهوي، وسبعة وعشرون أيدوا رأي من يقدم الشيخ البنوري لتدريسه ويود الدراسة منه.

ودرس جامع الترمذي بكل تحقيق وتدقيق وشرح ذلك الكتاب باسم "معارف السنن" كما أنه قام بتدريس سنن أبي داؤد وحل مغامضه ومشكلاته ولايزال يذكره كل من درس منه ذلك الكتاب ن كما قد تتلمذ عليه الطلاب لدراسة الإتقان ومقدمة ابن خلدون وكتب أخرى كثيرة .

الشيخ ومؤلفاته:

إنّ مؤلفات الشيخ – رحمه الله – كلها في العربية الفصحى بعبارة رائقة، وأسلوب بديع ما يجلب الأنظار ، ويدهش النظار، ومن خصوصياته أنه ما يسرد عبارات المؤلفين كدأب علماء زماننا بل يلخص كلامهم في عبارته بحيث تؤدي مرادهم بعبارة فصيحة وقليلة بحيث لايفوت من كلامهم شيء وكان الشيخ يقول إنّ الكتابة العربية اسهل على من الفارسية، والفارسية أسهل من الأردية والأردية أسهل من "بشتو" اللغة المحلية الرائجة في بشاور،[93] وماكان يكتبه ارتجالا بحيث

[93] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: **187**

لايجد فرصة لإعادة النظر عليه كما قد وجد ذلك أثناء طبع المجلد السادس من "معارف السنن" فكان يكتب ما يكتب ويُرسله إلى المطبعة بدون أن يراه مرة أخرى، وفيما يلي أهم مؤلفاته القيمة التي نالت حفاوة بالغة واكتسب تقديرا واحتراما عند العلماء والمشايخ العظام.

1. بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب المطبوعة بالقاهرة سنة 1357 من الهجرة كتبه رداً على زعم عناية الله المشرقي الفاسد أن قبلة الديار الهندية غير صحيحة، والصلاة إلى هذه الجهة فاسدة ، وأثبت بالحجج والبراهين أن جهة القبلة بالديار الهندية صحيحة، ومنشأ خطأ المشرقي عدم علمه ومعرفته بهذا العلم، وهذا كتاب وحيد في بابه وفرد في ميدانه لانظيرله في هذا الموضوع .

2. نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ محمد أنور ، المطبوعة بدلهي سنة 1383 من الهجرة وقد طبعها المجلس العلمي بكراتشي سنة 1389 من الهجرة الموافق 1969م، والكتاب في ثلاثمائة وست وأربعين صفحة بالقطع المتوسط، وهذا كتاب في ذكرى حياة شيخه العلمية، ومناقبه وفضائله، ومزاياه وميزاته، ذكر كل ذلك بلسان عربي مبين، بأسلوب جذاب، وبعبارة يسجد لها أرباب الأدب العربي

ويقدرها أصحاب التأليف، وقد كتب إليه أديب بارع عند ما طالع كتابه هذا: "قرأت كتابك فسجدت لبيانك".[94]

3. يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن، كتبه تقدمة لكتاب "مشكلات القرآن" لشيخه العلامة محمد أنورشاه الكشميري، كتاب نفيس قيم في مباحث علوم القرآن طبعت لأول مر في دلهي سنة 1936 م وأعيد طبعها في كراتشي سنة 1396 من الهجرة الموافق 1976 م مع زيادات قيمة من حضرة المؤلف رحمه الله، والكتاب بالقطع المتوسط في مائة وخمسين صفحة.

4. الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره، فيه مؤاخذات على كتب الأستاذ المودودي ومنتقدات على أخطائه العلمية، وقد طبع منه الجزآن الأول والثاني ولم يكمل الثالث وانتقل إلى رحمة الله، طبع الجزء الأول سنة 1396 من الهجرة الموافق 1976 م والثاني في 1397 من الهجرة الموافق 1977م وهو في القطع الصغير الأول في أربع وخمسين صفحة، والثاني في ستّ وأربعين صفحة.

---

[94] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: **192**

5. فص الختام في مسألة الفاتحة خلف الإمام. جزء لطيف مفرز من كتاب "معارف السنن" وهو بالقطع الكبير في مائة وثماني صفحات طبع في كراتشي سنة 1386 من الهجرة الموافق 1966م.

6. كتاب الوتر، جزء مفرز من كتاب "معارف السنن" طبع بالقطع الكبير في مأة وأربعين صفحات سنة 1963م.

7. عوارف المنن مقدمة معارف السنن، مقدمة مبسوطة حاوية لفوائد وأبحاث في غاية من الأهمية، وسيملأ هذه المقدمة الفراغ الملموس في ترجمة الإمام الترمذي حيث فيه ترجمة واسعة للإمام الترمذي ، وبيان منزلة السنة والحديث من الشريعة المحمدية ، وبيان مزية الفقه في الدين، وما إلى ذلك من فوائد لا محيد عنها للباحث النبيه والمحدث الفقيه.

8. معارف السنن شرح جامع الترمذي، شرح حافل لجامع الترمذي وصل فيه في ست مجلدات كبار إلى آخر المناسك في ثلاثة آلاف ومائتين وعشرة صفحات بالقطع الكبير، وطبع الكتاب مرتين من كراتشي وقامت المكتبة البنورية بطبعها مرة ثالثة بطبع فاخر ممتاز، كما أن مجمع البحوث الإسلامية بمصر قرر نشره

من إدارتها عترافاً لأهميته ونظراً لإفادته، وهذا الكتاب شرح عظيم لجامع الترمذي خدم به السنة النبوية والحديث الشريف والمذهب الحنفي والدين الحنفي ، كما أنه شرح فيه المباحث اللطيفة والعلوم الدقيقة لأستاذه وشيخه الكشميري، وحقا إنه ترجمان لشيخه وشارح لكلامه، وقد أدى واجبه في كتابه، ونفع الأمة المحمدية وخصوصا طلبة العلم وأساتذة الحديث قدم لهم كل ما يحتاجون إليه في تدريس الحديث بعبارة رائقة، كما أنه تكلم على الرواة وبين وجه الصواب فيه، وله نظر واسع على العلل والمتابعات والطرق ، وإلمام واسع بتخريج الأحاديث، ومعرفة تامة بمظانها، وله أبحاث حديثية وفقهية وصرفية ونحوية وبلاغية، وتحقيق لغوي، وفوائد عديدة وغيرها من الدر والغرر، فخضه تجده بحرا ذخارا وذقه فمن لم يذق لم يدر.

ومن أهم خصائص معارف السنن:

1. أوسع شرح لمذاهب الأئمة المتبوعين من مصادرها الموثوقة وبيان تعامل الأمة.

2. أوثق مصدر لأدلة الإمام أبي حنيفة في الخلافيات بين الأئمة .

3. أكمل شرح لجامع الترمذي من جهة استيفاء المباحث حديثا وفقها وأصولا وما إلى ذلك من مهمات علمية .

4. أحسن شرح لحل المشكلات وتوضيح المغلقات بعبارة رائقة وأسلوب رائع.

5. أجمع شرح لأقوال إمام العصر مسند الوقت محمد أنورشاه الكشميري في أماليه وتآليفه ومذكراته المخطوطة والمبعثرة في مظان منتشرة.

6. أخص كتاب لتسهيل ما تعسر من عبارات إمام العصرالكشميري في رسائله من "فصل الخطاب" و"نيل الفرقدين" و"بسط اليدين" وغيرها.

7. أشمل كتاب يحتوي على فوائد من شتى العلوم ونفائس الأبحاث رواية ودراية، فقها وحديثا، عربية وبلاغة.

8. أبدع تأليف جمع بين جمال التعبير، وحسن الترتيب، ومتانة البحث، ورزانة البيان، واستقصاء كل باب من غرر النقول لأولى الألباب.

9. أول شرح ظهر في عالم المطبوعات في شروح الحديث في هذه البلاد بورق جيد وطبع فاخر وثوب قشيب من جمال التنسيق.

10. مرجع وحيد لتصحيح ما وقع من الأغلاط في ضبط أمالي الشيخ إمام العصرفي أبحاثه وتحقيقاته من أماليه المطبوعة على عدة من الأمهات الست، وبالجملة: هو شرح لجامع الترمذي أغزر مادة ، وأجمل تعبيرا، وأوفي بحثا، وأكثر جمعا لغرر النقول بترتيب أنيق يقدرها من عانى شدائد التأليف وعنى بحل المشكلات.[95]

يعترف بفضل هذا الكتاب الدكتور محمد عبد الله المصري في كتابه " اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخا " فيقول: " هذا شرح جامع شامل، مقتبس من أبحاث جهابذة الحديث وأئمة الفقه وأعلام اللوم، وأعيان الأمة، وله أهمية كبيرة بين طلاب العلوم ودارسي الحديث والمتفقهين في الدين، وقال في آخره : ولا نرى أي عيب فيه من ناحية الأسلوب العربي، فهو سهل الأسلوب ، جيد السبك واضح العبارة ، له أثر خلاب في نفس القارئ، ولا يشعر فيه بأي ملل، ولا يشم فيه رائحة العجمى.

وبالجملة هو بفضل الله وكرمه وحسن معونته وتوفيقه شرح لجامع الترمذي أغزر مادة ، وأجمل تعبيرا، وأوفي بحثا، وأكثر جمعا لغررالنقول، وبترتيب أنيق

[95] علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، ص: 292-293

وصل المؤلف فيه إلى آخر المناسك، ولم يتيسر له إكماله، وطبع هذا الشرح في ست مجلدات في ثلاثة آلاف مأتين وعشرة صفحات بالقطع المتوسط، والنسخة التي أمامنا تولى طبعها المكتبة البنورية بكراتشي.

والله نسأل أن يوفق لإكمال الشرح بعض أهل العلم، وهو الموفق والمعين.

كشف النقاب عما يقوله الترمذي وفي الباب

ومعلوم أن الإمام الترمذي رحمه الله كثيرا ما يقول بعد سرد الأحاديث التي ساقها في تراجم الأبواب: وفي الباب عن فلان وفلان. يشير بذلك إلى ما جاء عن النبي صلي الله عليه وصلم ما يوافق ترجمة الباب عن صحابي آخر غير الذي روى عنه الإمام الترمذي ، وكان فضيلة الشيخ المحدث السيد محمد يوسف البنوري مولعا بأن تخرج هذه الأحاديث التي أشار إليها الإمام الترمذي، فبدأ بنفسه وسماه "لب اللباب فيما يقوله الترمذي وفي الباب" فخرج أحاديث من كتاب الطهارة، ومن كتاب الصلواة ومن كتاب الزكواة لكن لم يستطيع إكماله لكثرة الأشغال التي عاقته عن ذلك. فأمر تلميذه الوفي الدكتور محمد حبيب الله مختار فقام المذكور بهذا العمل الشريف، وبدأ العمل من جديد كثير التخارج على ثلثة فصول، ففي الفصل الأول يخرج الأحاديث التي أشار إليها الإمام الترمذي، وفي الفصل الثاني

يذكر الأحاديث التي عثر عليها أثناء البحث ولم يشير إليه الإمام، وفي الفصل الثالث: يذكر ألآثار الموقوفة التي لها صلة بالباب، وسمى كتابه " كشف النقاب عما يقوله الترمذي وفي الباب" وجدت هذا الكتاب في ثلا ث مجلدات، وصل فيه إلى " باب ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن" والعمل جار وفق الله تعالى المؤلف للإتمام. قام بنشره "مجلس الدعوة والتحقيق الإسلام بكراتشي.

ملخص القول: لقد كان الشيخ محمد يوسف البنوري من رواد الحركة الدينية العلمية التي أحيت لنا تراثنا في القرن الرابع عشر، غير محرف ولا مزيف وكان المحور الأولى في جهوده العلمية، أن يبعث التراث العربي وينشره نشرا محققا دقيقا، فصار هذا الهدف عينيه حتى استفرغ طاقاته وجاء بما يزيد ثقة واطمئنان على التراث.

وكانت مؤلفات الشيخ على قلتها تحمل في طياته حرية الفكر وسداد الرأي وسعة الأفق كما كانت تحقيقاته تنطق بغاية الاحتياط في الضبط وسلامة الفكر في التطبيق والتوفيق.

وكان تعامل الشيخ مع كتب السنة العديدة يدل على سعة معرفته بالحديث وطول باعه في علومه فقد بلغ الشيخ في معرفة السنة رواية ودراية ما لم يبلغه إلا

الأفذاذ من معاصريه كما ارتقى قمة تحقيق كتب التراث وعد رائدا لنشر نصوص الحديث النبوي.

الفصل الثاني

مقدمات علمية للشيخ محمد يوسف البنوري

مقدمات علمية على الكتب القيمة

إنّ الشيخ يوسف البنوري رحمه الله محدث كبير وعالم جليل كان له براعة في كل علم وفن من العلوم الإسلامية والأبية وخدم الإسلام والمسلمين تدريسا وتأليفا وتبليغا وكتابة.ونشر العلوم الدينية لاسيما علم الحديث ومن أشهر خدماته العليمة هو كتب مقدمات علمية رائعه وبحوث فنية بسيطة على المؤلفات العلمية والفنية التي كتبها العلماء البارعين وجهابذة الأفذاذ، وعلى موضوع الحديث والقرآن والفقه وما إلى ذلك.

وما هو جدير بالذكر هذه المقدمات ليست مثل ما كتب ويكتب رجال العلم والفن من مقدمات عادية لتقدير المؤلف أو التأليف أو جهوده المضنية بذل في كتابتها وتأليفها، على العكس فكتب الشيخ يوسف البنوري مقدمات دقيقة عديدة على بعض الكتب القيمة فيما يتعلق بعلم القرآن والحديث والفقه وما إلى ذلك من العلوم الأخرى وألقى فيها آراء علمية قيمة بكل معانيها ونواحيها،كأنه أوجد طريقا نوعيا بين الأوساط العلمية والأدبية في شبه القارة الهندية وقد نال قبولا عاما وحفاوة شعبية واحتراما واسعا بينهم. وذلك يميزه عن غيره من علماء الهند في هذا النوع.

ويبدو من الأنسب أن أذكر أشهر مقدماته العلمية الرائعة التي كتبها على الكتب القيمة الشهيرة في الأوساط العلمية والأدباء العباقرة في العالم، وبم أن معظم مقدماته كتبها في موضوع الحديث فهذا الباب يليق بذكرها وتحليلها.

يتيمة البيان في شيء من القرآن:

هذه مقدمة على مشكلات القرآن – هذه مجموعة تشتمل تفسير 19 آية من 48 سورة ألقى العلامة أنور شاه الكشميري عنها محاضرات علمية دقيقة أثناء تدريس الحديث النبوي الشريف أبرز فيها البلاغة المعجزة لكتاب الله وماجاء فيه من رموز وحقائق عن ذات الله تعالى والكون- وبحث الشيخ البنوري فيها في موضوع العلوم القرآنية بحثا دقيقا وأبرز فيها حقيقة القرآن وتحقيق مسألة الكلام مع ذكر مناط الخلاف بين أهل السنة والاعتزال والشروط الضرورية للمفسر والتفسير وأقوال الصوفياء من الموضوع. وفيما يلي مقتبسات مختارة من المقدمة:

"فهو تنزيل وقرآن مجيد، يتجمجم دون نصاعته وبراعته وفصاحته وبلاغته مصاقع للعالم وخطباء العرب والعجم، حتى أخرس ناطقهم، وغيض

شقاشقهم فأضحوا لطلاوته وحلاوته حيارى وسرت فيهم حميا رحيقه، فتراهم سكارى وماهم بسكارى وكان كما قائلهم:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما يفعل الخمر

وهو كتاب أحكمت آياته من لدن حكيم خبير يتكفكف دون حكمه حكماء الشرق والغرب ويتمتع من استبنباط أحكامه وفقهه ومسائله فقهاء العراق والحجاز والخارسان والقرطبة ويتلجلج من أحصاء ما حواء من نظام تهذيب النفوس ونواميس تربية العالم فلاسفة العصر وعقلاء الزمان".[96]

وكتب في مقدمة تاليفه "فيض الختام في مسألة الفاتحة خلف الإمام".

"وبعد فقد أصبحت مسألة الفاتحة خلف الإمام مسألة علمية فقيه حديثة خالصة، بيد أنها أصبحت معركة للمحدثين والفقهاء من أقدم العصور إلى اليوم ولم تكن الظروف داعية لبذل الجهد في أمثال هذه الخلافات العليمة، فقد بلغ السيل الربى، والمسائل الإسلامية الأساسية صارت ملعبةً للعقول الطائشة، وملهاةً للأفكار الزائغة وهدفاً في حلقات الإلحاد، وأصبحت الملة الحنيفية المحمدية كثلة غنم لا راعي لها، يحمل عليها كل ملحد أثيم ويفترسها كل ضال

[96] مجلة البينات، العدد الخاص 1978، ص: 188–189

زنيم، وساهم ملاحدة الشرق والغرب، وتكاتفت قواهم في غرز شبكات وشركات للناشئة الحديثة من أهل الإسلام الذين اصبحت صلتهم بالدين في غاية الوهن.[97]

مقدمته على لامع الدراري على جامع البخاري:

لامع الدراري هو مجموع إفادات المحدث الفقيه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله وقيدها تلميذه النجيب أبو زكريا وضم إليها مافتح الله عليه أثناء تدريس الحديث النبوي من نكت طريفة وإشارات لطيفة وتحقيقات نادرة. وأصبح هذا الكتاب كنزاً ثميناً لأبناء علم الحديث.

قام المحدث البنوري بكتابة مقدمة علمية تفصيلية على هذا الكتاب وهي مقدمة نافعة لأبناء علم الحديث، وحاوية للمعارف فيما يتصل با لإمام البخاري وما خصه الله به من مواهب وخصائص، ومنهجه في تأليف الصحيح وما التزمه من التزامات وشروط في وضع هذا الكتاب. ونجد هذه المقدمة ما يفتق قريحة الطالب ويشخذ ذهنه، ويسهل فهمه.

---

[97] مجلة البينات، العدد الخاص **1978**، ص: **189**

أودّ أن أذكر بما قاله المحدث الجليل الشيخ محمد يوسف البنوري عن ميزة لامع الدراري فيقول:

"غير خاف على من عنى بالتحقيق والبحث أن جمع النقول المتكاثرة من المظان البعيدة الوافرة، ونقل كلمات الجهابذة من أعلام الفن، له منزلة خاصة لايستهان بها، وأنها أول مرحلة من التحقيق للباحث المحقق الخبير وربما يعرف بمثلها مزية المؤلف، ويقدر جهده تقديرا، فالمجلدات الضخمة الكثيرة من كل شارح له فضل كبير على كل من استفاد منها. بيد أن محط النظر عند أرباب التحقيق البارعين إبداء نكتة لم يذكرها هؤلاء الكبار، وحل مشكل لايقوم بحله إلا مثل من بالغ جهده بالبحث ونخل وغربل أقوال المحققين، ثم أعلى المقام حقه من البحث والنظر بنور ثاقب من قبله، فلاريب أن العبقرية النادرة تظهر في حل المشكلات وإبداء نكات قصيرة عنها أنظار أهل البحث والتدقيق، دون تكثير الأجزاء وتغزير المواد العلمية.

وهنالك أمران: أمر أنتجته ثواقب الأفكار ولوامع العقول، وأمر أبدته لوامع القلوب وأنوار التجليات الإلهية، فالأحق بالتقدير الأمر الثاني وإن كان لا يستهان بالأول، والجمع بين الأمرين كبريت أحمر، فالشيخ الكنكوهي فقيه هذه

العصور ومحدث عصرها ممن عنى بالأمر الثاني، وهذه الميزة التي تتجلى في أماليه ومايلقيه، وعناية الشيخ الكنكوهي قلما تكون بالأمور الواضحة، أو المفروغ عنها في كتب القوم إلا أن يكون إلماما بالموضوع في إيجاز واختصار، وإنما العناية البالغة بذكر مالم يذكر الشارحون، لكن أين من يقدر هذه الجواهر؟ والعامة يحتاجون إلى الأمور العامة، والأقوال السائرة، ومن أجل هذا كانت هناك حاجة لأن يملأ الفراغ وأن يسد هذا الخلاء، ويجبر هذا الوهن بتعليقات فياضة تتلألأ فيها هذه الجواهر، ويذكر بجنبها كل ما دار في الموضوع من بيان المذاهب، وآراء الشارحين، وأفكار الجهابذة، وتحقيقات الأعلام؛ وبحوث الأعيان، وقام لسد هذا العوز نجل الشيخ المحدث محمد يحيى شيخ الحديث محمد زكريا، فزاده جمالا بتعليقات واسعة، لخص فيها كل ما يحتاج إليه البحث بأسلوب جذابة، يأخذ بمجامع القلوب من أبحاث رائعة وأقوال ساطعة من غير أن يشينه حشو أن يكدر صفوه تعقيد فارغ وتعليقات فياضة جاءت بلباب الأقوار وصفو البيان، بأسلوب بديع تنجذب إليه النفوس، وتخلص بها الموضوع من كل الجهات، وتغني محاويج البحث والفكر، ويبسط لهم مائدة كريمة يجدون فيها ما يفتقريو إليه في المفقود من شرح ما أجمله أو تعيين ما أبهمه، واستيفاء الموضوع من أطراف

الكلام. وبلغت هذه التعليقات إلى أربعة أخماس الأصل، وهذه الأخماس كلها لا الخمس فقط أصبحت غنية بادرة لفقراء العلم ومساكين البحث تنادي كل عالم وفاضل بأن يملأ منها وطابه وجرابه، من غير أن يكون هناك منع أوقهر، أو زجر أو نهر، فجزاه الله خير ما يجزي عباده المحسنين".[98]

مقدمته على فيض الباري على صحيح البخاري:

فيض الباري على صحيح البخاري هو مجموع إفادات لإمام العصر المحدث الكبير محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله أفادها في درس البخاري، جمعها وعلق عليها تلميذه البار الشيخ بدر عالم الميرتهي، و تلقاها العلماء الفحول بالقبول.

لقد كتب المحدث البنوري رحمه الله مقدمة طويلة قيمة رائعة على هذا الكتاب التي أصحبت مرآة تنعكس فيها مكانة الكتاب. وهو من خصائص تلامذة إمام العصر.

فقال رحمه الله بعد أن ذكر اعتناء الأمة بصحيح البخاري وبشرحه فتح الباري:

"بيد أن الله قد خص كل عظيم من عظماء الأمة بخصائص في شرحه لا توجد في غيره، فهذا الإمام البحاثة المحنك المحدث الجليل إمام العصر محمد أنور

---

[98] مقدمة لامع الدراري على جامع البخاري، بقلم المحدث البنوري، ص: ح– ط

شاه الكشميري قد اعتنى بصحيح البخاري درسا وإملاء وخوضا وإمعانا مالم يعتن بما عداه فطالعه قبل الشروع في تدريسه ثلاث عشرة مرة من أوله إلى آخره مطالعة بحث بحث وفحص وتحقيق، وطالع شروحه المطبوعة من الفتح والعمدة والإشارة وغيرها من المطبوعة والمخطوطة ما تيسر له في ديار الهند والحجاز، وكان العمدة والفتح كأنهما صفحة بين عينيه، ثم وفق لتدريس ما يربو على عشرين مرة دراسة إمعان وتدقيق، حتى أجهد نفسه شطر عمره في العكوف عليه تحقيقا وبحثا، وكأه خلق لذلك، فهل ترى يساهم في ذلك أحد أو يساجل؟ كلا، كل ميسر لما خلق له، فكان من دأبه في التدريس أن يأتي بتحقيقات رصينة وأبحاث متينة، وكان أكبر عناية بإفصاح مالم يذكره الشارحون، فإن كان دين شرحه قضاه الحافظ ابن حجر فقد وفي دين تدريسه إما العصر.

وكان كثير من الطلبة في كل عام يضبطون ما يلقيه إمام العصر، ويحتطب كل بحبله حسب مقدرته، فكان من بينهم من قرأ عليه أو سمع نحو خمسين مرات، ووفق للاستفادة منه مالم يوفق غيره، وتيسر له من طول الصحبة وكثرة الملازمة مالم يتيسر لأحد غيره من أفاضل تلامذته وأصحابه العلام الذكي الشيخ السيد محمد بدر عالم الميرتهي ثم المدني المهاجر فرتب ما ضبطه وجمع ما سمعه،

فوفق لذلك من الله تعالى توفيقا كاملا، ويسر الله له أن يحيط بتلك العلوم العالية التي كانت تصدر من لسان شيخه إمام العصر الشيخ محمد أنور شاه رحمه الله. مثل البحر يموج على موج في دراسة صحيح البخاري فسعى لها سعيا بالغا، وضبطها ضبطا تاما، وجمعها جمعا حسنا، وأتى بها في عبارات رائعة لطيفة كأنها درر نفيسة وجواهر ثمينة.

وكان دأب إمام العصر إلقاء المواد العلمية على التلاميذ بعبارات وجيزة، كلمات لطيفة، حتى أنه كان يذكر بعض الأحيان المباحث العويصة بجمل عديدة تعد ألفاظها على الأنام مع المحاكمة فيها وتحقيق الرأي فيها، فكان أمرا عظيما فهم هذه الإشارات وضبط هذه المباحث والدرك إلى مرام العلامة، ولكني أقو: لله در المؤلف الجامع للأمالي أنه ضبطها باعتناء تام، ثم رتبها ترتيا حسنا، وعرضها أما العلماء والطالبين بعبارات بليغة مؤدية للمرام بعد أن راجع المصادر مراجعة تامة مرة بعد مرة، وقابل تلك الأمالي مع جميع الأمالي التي جمعها أجل تلاميذ الشيخ بإمعان بلاريب ومرية أن علوم العلامة الكشميري كان لايأتي بها أتم من بين تلاميذه إلا فضيلة الأستاذ السيد محمد بدر عالم. إنه لم يكتف على محض جمع الأمالي وترتيبه، بل أضاف إليها في أكثر المواضع فوائد عظيمة ومباحث

مهمة. فلم يبق هذا المجموع مجموع الأمالي فقط بل صار شرحا مستقلا مشتملا على المباحث المهمة من المسائل الكلامية والفقهية، لا أدري كم من ليلة أسهرها، وكم من نهار أشغله. في تحقيق مسئلة واحدة فهذه العلوم رتبت في صورة شرح عظيم لصحيح البخاري، نفع الله بها العلماء والطالبين لآثار السنن وهدى الله الذي أرسل به خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين".[99]

مقدمة على أوجز المسالك:

أوجز المسالك إلى الموطأ لمالك هو شرح عظيم للموطأ طبع أولاً في الهند في ستّ مجلدات ضخام وإن كان اسمه أوجز المسالك لكنه من أوفي الشرح للموطأ يغني المحدث والطالب من أسفار صخمة يحتوي هذه الكتاب على شرح الديث وبيان المطالب وتفصيل المذاهب وتراجم الرواة.

لقد قام المحدث يوسف البنوري رحمه الله بمقدمة فائقة نافعة للمحدّث والطالب، لها مكانة عظيمة عند المحدثين واعترف العلماء وأهل الصناعة بحسن تأليفها وإبراز إشارات لطيفة فيها فيناسب لنا أن نذكر في هذا الشرح الضخم

[99] مقدمة فيض الباري للمحدث البنوري، ص: **30–32**

كلام المحدث البنوري من مقدمته حيث أنه بين عشرة أمور يتجلى بها مكانة هذا الشرح للموطأ.

الأول: إنه شرح ممزوج مع متن الحديث ولفظ السند فيشرحه شرحا حرفيا، فيسهل على الناظر تعاطيه قوادمه وخوافيه.

الثاني: إنه ينبه على الألفاظ الواردة في الأمهات الست من رواية الحديث لكي يقف الناظر على شرحه بوضوح وجلاء، ويتسنى له ترجيح بعضها على بعض من غير خفاء.

الثالث: إنه يستوفي شرح أسماء الرجال بكلام موجز منقح مع جرح وتعديل إيقاظا للناظر على درجة الحديث.

الرابع: إنه يستوفي بيان المذاهب الأربعة وما عداها في المسائل الخلافية من كتب موثوقة عند أهلها، بل يستقصى الأقوال والروايات المروية في كتب المذاهب عن الائمة، ولاسيما في مذهب الإمام مالك لكي يطمئن كل من انتسب إلى احد من الأئمة المتبوعين على بصيرة.

الخامس: إنه يذكر أدلة المذاهب تارة بالاستقصاء وتارة بالتلخيص حسب ما اقتضاه المقام.

السادس: إنه يعتمد على شرح الحديث على جهابذة شارحي الموطأ كالقاضي أبي الوليد الباجي، والقاضي عياض وأمثالهما، وتارة ينتقي من كلام المتأخرين من الشارحين.

السابع: إنه أوفي في شرح للموطأ حديثا وفقها ولغة يقول وسط في الباب من غير إخلال وإطناب.

الثامن: إنه يذكر في شرح الحديث بعد استيقاء أقوال الشارحين ما تلقاه من أعلام عصره كالشيخ المحدث السهارنفوري رحمه الله صاحب "بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد" وفقيه عصره الشيخ المحدث الكنكوهي رحمه الله وصاحبه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي رحمه الله والد المؤلف، وذلك في معترك صحب يتجلى فيه نبوغ هؤلاء الأعلام، وما يذكره من أعيان الهند المحققين كالشاه ولي الله الدهلوي في شرح باللغة الفارسية "المصفي" وفيه نفائس، والشيخ المحدث الكنكوهي رحمه الله في السعاية، والمحدث السنبلي رحمه الله في شرح مسن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، والمحدث النيموي في "آثار السنن".

التاسع: إنه اعتنى بغرر النقول من كتب القدماء والمتأخرين من المحدثين من كتب لم تطبع عند تأليفه.

العاشر: إنه استوفي الشرح من بدئه إلى الختام بأسلوب واضح غير معقد بعبارة فصيحة سهلة وبخطة متوسطة بين الإيجاز والإطناب فتشابه طرفاه وكان كالحلقة المفرغة لايدري أين طرفاها.[100]

مقدمة على مقالات الكوثري:

مقالات الكوثري هي مجموعة علمية قيمة تحتوي على خمس وخمسين مقالة بديعة بين طويلة وقصيرة كتبها الناقد البحاثة الخبير الشيخ محمد زاهد بن حسين الكوثري رحمه الله في موضوعات مختلفة من التفسير والقراءات والفقه وأصوله والكلام وما إلى ذلك. وللشيخ محمد يوسف البنوري مقدمة ممتعة تفصيلة على هذه المجموعة وأبرز فيها أهم ميزاتها وأمهات خصائصها ثم قدّم نفائس قيمة وإيماضات رائعة مع إبراز قيمة هذه المقالات القيمة الثمينة لكوثري يمكن أن نعدها من روائعه العلمية والفنية وذلك حقا خدمة للعلم ونفع لأهل العلم كما يتضح من الاقتباس.

"ومقالاته في نظر المرء إلى الشرع لله، ومقالاته في تحقيق المصلحة في الحكم فيها أبحاث أصولية وكلامية بديعة، وتنقيح جيد في الفرق بين المصالح

---

[100] مقدمة أوجز المسالك بقلم المحدث البنوري، ص: 82-83

والمعتبرة والمصالح المرسلة، وبيان معاني الدليل والأمارة والعلة والسبب والشرط، ومقالته في العقيدة المتوارثة وما بعدها من المقالات صورة صحيحة لعلمه الصحيح، غيرته على حريم الدين الإسلام، توجيهه في الحديث: " كان الثلاث تجعل واحدة" إلخ في غاية القوة واستناده بقول الله عز وجل " أجعل الآلهة إلهاً واحداً "، وبقول النبي ﷺ: " من جعل همومه هما واحدا"إلخ استناد في غاية المتانة والإحكام يكاد يلقم حجرا في أفواه المجادلين.

ومقالاته في الرد على من أنكر نزول عيسى عليه السلام، وفي الرد على نقض الدرامي، وفي خطورة القول بالجهة، والرد على الحشوية المجسمة... مقالات كلها تنبئ عن حمية دينية على حراسة معتقد أهل الحق من صولات أهل الزيغ، وصيانة لها عن تلاعب أيدي رجال سفهاء الأحلام، يسيئون إلى الإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وفيها لفت أنظار أرباب الحل والعقيدة من أهل إدارة الأزهر الشريف إلى إصلاح شؤون الأزهر من جهة تربية الناشئة الحديثة، وكلها في غاية الأهمية عند من رزق بصيرة في الدين وحمية على الشرع المبين وغيرة على معتقد السلف الصالحين".[101]

[101] مقدمة مقا لات الكوثري بقلم المحدث البنوري، ص: 9

الباب الرابع

الشيخ محمد يوسف البنوري أديباً وشاعراً

الفصل الأول: الشيخ محمد يوسف البنوري والأدب العربي

الفصل الثاني: الشيخ محمد يوسف البنوري من حيث الشاعر

الفصل الثالث: الرثاء في شعر يوسف البنوري

الفصل الأول: الشيخ محمد يوسف البنوري والأدب العربي

الأدب في الهند:

إنّ اللغة العربية لغة فطرية، ويحبها الإنسان قدر قربه من الفطرة ، فنرى جماً غفيراً من العجميين ممن لم تكن لغتهم اللغة العربية لكنهم برعوا فيها وكملوا، ونبغوا فيها وسبقوا، وصاروا أدباء وفصحاء بلغاء شعراء، وإن الهند نجد فيها كثيرين ممن خاضوا هذا البحر الخصم، أخرجوا منه الدرة اليتيمة، ومن أسبقهم على ما نعلم الشيخ سعد بن مسعود ابن سلمان اللاهوري فإنه أول من برع في العلوم العربية من أهل الهند صاحب ديوان في القصائد وأديب بارع ولكن ديوانه ضاع ولم يصل إلينا، ومنهم الأمير خسرو بن سيف الدين اللاهوري فإنه مع براعته في لغة الفرس كان ماهراً بالعلوم العربية وله أبيات رائقة، ومنهم القاضي عبد المقتدر من ركن الدين الدهلوي المتوفي 791هـ كان من الشعراء المفلقين.[102]

[102] مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدب العربي، الدكتور زبير أحمد الفاروقي، ص: 8

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد التهانيسري من الأدباء المشهورين في عصره، و منهم الشيخ أبو الفتح عبد الحئ بن عبد المقتدر الدهلوي ثم الجونفوري كان ماهراً بالعلوم الأدبية، ومنهم الشيخ أبو الفيض بن المبارك الناكوري، والعلامة محمود بن محمد الجونفوري، والشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله اللكنوي، والسيد غلام على البلكرامي و جملة أشعاره في المذكورات أحد عشر ألفا. وهم الذين أثبتوا كفاءتهم في التضلع من اللغة وآدابها، ومعرفة مفرداتها وأضدادها، وإتقان قواعدها وأسرارها، واعترف الناطقون بالضاد بسبقهم وإمامتهم وشهد لهم أهل الهند بالبراعة والنبوغ في الأدب العربي.[103]

ومنهم الشيخ الأجل الشاه ولي الله (قطب الدين) بن عبد الرحيم الدهلوي الذي أكرمه الله تعالى بالفصاحة في اللغة العربية دون كثير من المولدين وغيرهم، إذا سمعت من لفظه الرقيق المعرب البديع خيل إليك كأنما هو رجل نشأ ببادية من علياء هوازن أو كأنما أدبته إمرأة من سفلى بنى تميم ومن شعره :

كأن نجوما أومضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤس العقارب

إذا كان قلب المرأ في الأمرخاثرا فأضيق من تسعين رحب السباسب

[103] الصحافة العربية في الهند نشأتها وتطورها، الدكتور أيوب تاج الدين الندوي، ص: 25-32

وتشغلني عني وعن كل راحتي مصائب تقفوا مثلها في المصائب

إذا ما أتتني أزمة مد لهمة تحيط بنفسي من جميع الجوانب

تطلبت هل من ناصر أو مساعد ألو ذبه من خوف سوء العواقب

فلست أرى الا الحبيب محمداً رسول إله الخلق جم العواقب[104]

ومنهم الشيخ الشاه عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي له قصائد غراء في مدح النبي ﷺ وتخميس على بائية وهمزية ومن شعره :

ياسائرا نحو بأن الحى والأسل سلم على سادة الأوطان ثم قل

مازلت في بعدكم كالنار في شعل والأرض في كسل الماء في ملل

أريد لمحة و صل أستضيئ بها في ظلمة الهجر ضاقت دونها حيلى[105]

ومنهم الشيخ شاه رفيع الدين بن ولى الله الدهلوي له قصائد غراء وتخميس على بعض قصائد أبيه وله تأليفات ممتعة في العلوم الأدبية ومن شعره:

ياأحمد المختار يا زين الورى يا خاتما للرسل ما أعلاكا

---

[104] مجلة البينات، العدد الخاص 1978م، ص: 184

[105] القصائد البنورية، ص: 44

يا كاشف الضراء من مستنجد يا منجيا من والاكا

هل كان غيرك في الأنام من استوى فوق البراق وجاوز الأفلاكا[106]

ومنهم الشيخ باقر بن مرتضى المدراسى له العشرة الكاملة وفيها عشر قصائد على نهج المعلقات، وله ديوان الشعر العربي في الغزل والنسيب، وله مقامات على نهج الحريري، ومنهم حسن على بن حاجى شاه اللكنوى، والشيخ رشيد الدين الدهلوي، والسيد عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفي بوري، ومنهم العلامة فضل الحق الخير آبادي كم له من قصائد وأشعار أتى فيها بكل لفظ لطيف ومعنى بديع منها قوله:

فؤادى هائم والدمع هامى وسهرى دائم والجفن دامى

وقلب ما فتى بجوى ولوع ولوع في اضطرب واضطرم[107]

ومنهم المفتي صدر الدين الدهلوى الفاضل المشهور كان له يد بيضاء في العلوم الأدبية، ومنهم الشيخ أوحد الدين البلكرامى، ومولانا علي عباس الجريا كوتى، والمفتي عباس التستري اللكنوي، والشيخ فيض الحسن

---

[106] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: **185**

[107] الثقافة الإسلامية في الهند، عبدالحئ الحسني، ص: **47-48**

السهارنفوري، والقاضي طلاء محمد البشاورى، والشيخ أحمد بن عبد القادر الشافعى الكوكنى، والسيد عرفان بن يوسف الطوكى، والسيد صديق حسن بن أولاد حسن الحسيني البخاري القنوجي صاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة، له قصائد غراء بالعربية.

ومنهم الشيخ ذو الفقار على الديوبندي شارح "الحماسة" و"ديوان المتنبي" و"السبع المعلقات" وغيره، وله أبيات رقيقة رائقة، ومنهم الشيخ عبد الحميد بن أحمد الله العظيم آبادي، وكان ينظم القصائد في لحظة مختلفة، ومنهم الشيخ عبد المنعم التشاتكامى شارح "ديوان المتنبي" وله ديوان الشعر العربي، ومنهم الشيخ عبد الأول الجونفوري، له كتب كثيرة في الأدب وديوان الشعر العربي حافل لجميع أصناف الكلام، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الطوكى شارح "ديوان المتنبي" وله مصنفات أخرى في الفنون الأدبية، ومنهم الشيخ محمد بن هادي الحسيني الترمذي الكالبوي، والسيد مهدي بن نو روز الشيعي اللكنوي، والحافظ نذير أحمد الدهلوي، والسيد ناصر حسين اللكنوي الشيعي، والشيخ محمد بن يوسف السورتي الكجراتي.

ومنهم الشيخ عبد الرحمن القاضي ببوفال"، له قصائد رائعة، ومنهم الشيخ حبيب الرحمن الديوبندي له قصائد في غاية الدقة والانسجام جمعت في ديوان، ومنهم إمام العصر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ذلك المحدث الكبير له قصائد رائقة رقيقة، ومنهم الأديب الكبير عبد الحليم الصديقي الزعيم السياسي، ومنهم الأديب الكبير محمد يوسف الكاملى والشيخ عبد المنان بن عبد السبحان الدهلوي رحمهم الله تعالى.

وهذا الشيخ إمام العصر الكشميري كان ممن لا نظير له في العلماء، وكان المعاصرون في زمانه والأعيان يقولون عنه: لم تر العيون مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وكان شاعراً أنشد في اللغة العربية وهو الذي قد شم في أشعاره بعض الأدباء العرب النابغين رائحة الادب الجاهلي، وها هو بعض الأبيات من قصائده ما قاله في مديح النبي الكريم عليه صلوات الله وتسليمه:

برق تألق موهنا بالوادي فاعتاد قلبي طائف الأنجاد

أسفا على عهد الحمى وعهاده تولى على الإبراق والإرعاد

رحم تتاوح تارة ديم لها حتى غدا الأيام كالأعياد

هب النسيم على الربا فتضاحكت بشرى العميد عرارها والجادى[108]

وقال في رثاء شيخه الشيخ محمود حسن الديوبندي الملقب بـ"شيخ الهند" قصيدة تحتوي على سبعة وأربعين بيتاً منها فيما يلي:

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا مصيفا ومشى ثم مرأى ومسمعا

قد احتفه الألطاف عطفا وعطفة وبورك فيه مر بعا ثم مربعا

وقد كان دهرا ثم دهرا طريقتي طريقة غر ثم أولى فأوقعا

يجاوبني دار وجار على البكى ولم أر إلا باكيا ثم موضعا

وإن كان مما ليس يشفي ويشتفي بشئ ولكن خل عينيك تدمعا

نهضت لأرثى عالما ثم عالما حديثا و فقها ثم ما شئت أجمعا

وهديا وسمتا سنة وجماعة وخلقا وخلقا ماأناف و أوسعا

وعزما وحزما حكمة وإصابة وزهدا وتقوى كان أروع أورعا[109]

وإنّ علامة العصر الأديب البارع المحدث الكبير الشيخ محمد البنوري – رحمه الله تعالى – قد جمع الله فيه أوصاف شيخه، فكما ورث علوم النبوة عن

---

[108] القصائد البنورية، ص: 46–47

[109] نفحة العنبر، الشيخ يوسف البنوري، ص: 174–176

شيخه وصار محدثا كبيرا كذلك ورث العلوم الأدبية أيضا وصار أديبا بارعا، وكانت له براعة تامة في العربية ومقدرة فائقة على الكتابة والخطابة، وكان يقول كما قد ذكرت سابقا "الكتابة بالعربية أسهل على من الفارسية وبالفارسية أسهل من الأردية، وكان أديباً بارعاً في الأردية والفارسية والعربية وشاعراً مفلقاً في العربية .

وكان من بدء أمره ممتازا في العربية وقد أجاب أحد أصدقائه وقد كتب إليه خطابا بالعربية فرد عليه وكتب: من فضلك لا تكتب خطابا بمثل هذه العربية الفصحى التي احتجت لحلها إلى كتب اللغة، وكما سبق لى أن ذكرت أنه عند ما كان في بلاد أفغانستان ورأى أحد الوزراء ولوعه بالعربية وهيمانه بتلك اللغة أهدى إليه بعض الكتب لأدباء مصر، وفي عهد تعلمه جمع الجمل الأدبية المقتبسة والتلويحات المقتطفة من "الجامع الصحيح" للبخاري. ووهبه الله ذاكرة قوية وحافظة خارقة فيحفظ جميع ما يسمع أو يقرأ، ويبقى كل ذلك في ذاكرته يستعمله متى شاء.

وقد كتب إلى شيخه إمام العصر الكشميري خطابا بالعربية فسأله : أين درست الأدب العربي؟ فأجابه قائلا: ما درست عند أستاذ، فرد عليه قائلاً : مثلك لا يحتاج إلى أستاذ. ولقد صدق شيخه – رحمه الله- حيث كان في الأدب العربي بمكان لا يحتاج إلى أن يتلمذ بعده لأحد، ويشهد ذلك كتبه القيمة وعباراتها البليغة، ولا أرى بأسا بأن أنقل بعض القطع من نثره لتكون برهاناً على ما نقول، فمما كتب في مقدمة كتابه "يتيمة البيان":

"الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعله عوجا ، ففتح به قلوبا غلفا ، وعيونا عميا ، وآذانا صما، فأقام به حججا، والصلاة والسلام على النبى الأمى الهاشمي القرشي، أفصح من نطق بالضاد، وأوتي جوامع الكلم، ومصابيح الدجى وعلى آله وصحبه وعلماء أمته وهداة ملته الذين كابدوا للدين وغاصوا لأجله لججا، فنشروا القرآن والسنة وأنفذوا وسعهم في أثرة العلم ودين الحق، فوصلوا كتداً وثبجاً، فهدوا إلى الطيب، من القول، وأصلحوا الفساد، ودفعوا الشر عن البسيط، وأقاموا عوجاً، عليهم رحمة الله وبركاته مادامت العيون تبتهج بباهر آيات الله، والقلوب تشتفي بمعجز كتاب الله وتطمئن به ثلجاً ".[110]

[110] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: **188**

وكتب أثناء بحثه عن القرآن الكريم وعلومه في كتابه "يتيمة البيان في شئ من العلوم القرآن":

" "فهو تنزيل وقرآن مجيد، يتجمجم دون نصاعته وبراعته وفصاحته وبلاغته مصاقع العالم وخطباء العرب والعجم، حتى أخرس ناطقهم، وغيض شقاشقهم فأصبحوا لطلاوته وحلاوته حيارى وسرت فيهم حميا حبقه، فتراهم سكارى وماهم بسكارى وكان كما قائلهم:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما يفعل الخمر

وهو كتاب أحكمت آياته من لدن حكيم خبير يتكفكف دون حكمه حكماء الشرق والغرب ويتمتع من استبنباط أحكامه وفقهه ومسائله فقهاء العراق والحجاز والخارسان والقرطبة ويتلجلج من أحصاء ما حواء من نظام تهذيب النفوس ونواميس تربية العالم فلاسفة العصر وعقلاء الزمان".[111]

كما هو كتب في مقدمة تاليفه "فيض الختام في مسألة الفاتحة خلف الإمام".

"وبعد فقد أصبحت مسألة الفاتحة خلف الإمام مسألة علمية فقيه حديثة خالصة، بيد أنها أصبحت معركة للمحدثين والفقهاء من أقدم العصور إلى اليوم

[111] مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدب العربي، الدكتور زبير أحمد الفاروقي، ص: 54

ولم تكن الظروف داعية لبذل الجهد في أمثال هذه الخلافات العليمة، فقد بلغ السيل الربى، والمسائل الإسلامية الأساسية صارت ملعبةً للعقول الطائشة، وملهاةً للأفكار الزائغة وهدفاً في حلقات الإلحاد، وأصبحت الملة الحنيفية المحمدية كثلة غنم لا راعي لها، يحمل عليها كل ملحد أثيم ويفترسها كل ضال زنيم، وساهم ملاحدة الشرق والغرب، وتكاتفت قواهم في غرز شبكات وشركات للناشئة الحديثة من أهل الإسلام الذين أصبحت صلتهم بالدين في غاية الوهن.[112]

وكتب في مقدمة " فيض الباري في شرح جامع البخاري":

"وبعد، فلله سبحانه في خلقه شئون وأطوار، حارت فيها الأفكار، وكلت في بدائعه البصائر والأبصار، وربك يخلق ما يشاء ويختار:

رتب تقصر الأماني حسرى دونها ما ورائهن وراء

طوراً يشرق نوره في ساعير، وطورا يتهلل في طور سيناء، وتارة ينبلج بفاران تنقشع الظلمات المتراكمة، وتستنير به أنحاء الأرض، إن لله في دهره نفحات يصطفي ما يشاء لما يشاء، واصطفي مكة فجعل فيها بيتاً مباركاً هدىً للعالمين،

---

[112] نفس المصدر، ص: 55

وبعث فيها خاتم أنبيائه عليه صلوات الله تحياته، وجعل دار هجرته المدينة، فتألقت أنوارها في أنجاء العالم، وزال كل أمر مريج. وتدفقت أنهارها إلى أقطار مجدية، فلم تلبث إلا إن اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج، فلم تبرح الأنوار تنتشر، والظلمات تتقلص وتنزوي، ولم تزل الأنهار تزخر وتموج، حتى تفيهقت العراق والحجاز والشام والأندلس ببحار من علوم القرآن والسنة زاخرة، وأصبحت بلاد خراسان وما والاها تخفق فيها رايات الحديث والسنة مرفوعة زاهرة، لم تبق ناحية من المعمورة إلا وأصابتها رشحة من وابلها الصيب المدرار، ولم تبق بلدة عامرة إلا وتألقت لمعة فيها بطلوع تلك النجوم الثاقبة الأنوار".[113]

وكتابه " نفحة العنبر" في ذكرى شيخ الكشميري الذي لما طالعه شيخ الشيخ شبير أحمد العثماني كتب إليه: إنك جددت لنا ذكرى الشيخ – قدس الله سره- وعطرت أرواحنا بتأليفك الكتاب "نفحة العنبر" وكتب: إنني ابتدأت أولا في تصفح الكتاب من مواضع اتفقت لي قراءتها منها، وكنت أرى تأجيل استيعاب قراءته إلى فرصة أخرى لولا أن جذبني موضوع الكتاب وأسلوبه الجميل إلى درجة كان يخيل إلى أثناء القراءة – ولاأبالغ- أن صورة الشيخ مائلة أمام عيني، وإن

[113] مجلة البينات، العدد الخاص 1978، ص: 190

العلامة المرحوم نفسه يقوم خطيبا فينا نحن معاشر العشاق المريديدن، فيمتعنا بما خصه الله به من أسلوب الإلقاء وطريق توجيه الخطاب.

وكتب بعد أسطر: وكأن هذه الرسالة التي ألفتها لمرآة صافية تنعكس فيها كمالات الشيخ وأثر قوى من آثار الصالحة، وإنني قديما أعترف لك بالتفوق العلمي والأدبي وألمس فيك أهلية وصلاحا للأمور الدينية غير أن اعتقادي هذا لم يكن في درجة وصل إليها الآن بعد ما قرأت لك هذا الكتاب.[114]

وفيما يلي بعض العبارات من هذا الكتاب:

"أما بعد؛ فهذا نفثات صدر، وقطرات قلم، بل عبرات عين، وحسرات الم، نهديها إلى علماء الأمة الحنفية، ولاسيما إلى فضلاء الممالك الإسلامية، وأماثل البلاد العربية، لتصدع لهم بكلمات من كتاب حياة رجل عظيم ضنت بأمثاله القرون، وجادت بمثاله بعد دهور متطاولة. كأن برقا تألق في ساهرة الهند فأضاءت منه أقطارها، وانبعث شعاعه إلى أكناف الدنيا فاستنارت منه أنجادها

[114] القصائد البنورية، ص: **50**

وأغوارها، فاشرأبت إليه الأعناق، وأقنعت الرءوس، وطمحت إليه الأعين، فانطوى على عجل وغادرهم سامدين حيارى لادراك لهم ولاحراك."[115]

وكتب عاداً لمآثر شيخه إمام العصر الكشميري رحمه الله عليه راثياً له:

فيا حسرتي! ويا أسفي! رفعت عن أيدينا تلك الأمانة الإلهية، واتحل عنا هذا الإمام الجليل الحائز لتلك المناقب الجليلة التي تأخذ بمجامع القلوب، فطبق المفصل في كل ما حاول وأراد، وأصاب المخز في جميع ما يحاول ويراد، يتراءى اليوم هذه المآثر أعز من الأبلق العقوق، وأغرب من بيض الأنوق، فمرت مثل هذا الإمام في مثل هذا العصر المجدب الذي لايرتجى أن تخفق رأيات العلم على أمثاله داهية كبرى وأمر جلل، لم تستغن الأمة عن نظرائه في العصور المخصبة الرائقة والأيام المخضبة المؤنقة، فكيف في الأعصر الممحلة التي لامطمع بها لرفعة من غادياة أو سارية، أو رشحة من صيب مدرارا، فيا للأسف! خطب مفظع غشى الأمة المحمدية، ورزء فادح جليل ماله من زوال، وانفتاق في قصر العلم الشامخ واسع ما يخال له ارتتاق، وانصداع ماله انشعاب...[116]

---

[115] مجلة البينات، العدد الخاص **1978**، ص: **192**

[116] مجلة البينات، العدد الخاص **1978**، ص: **193**

أما فيما يتعلق بالرسائل فلا نجد في هذا الباب إلا رسالتين كتبهما العلامة محمد يوسف البنوري إلى صديقه الحميم مولانا عبد الحق نافع، ونجد فيهما لونا واضحا لأسلوب الحريري والهمداني. في الرسالة الأولى عرف بكتاب تلقاه من صديق آخر فقال:

" هذا وقد وصل إلى الروض الأنف في السادس عشر من شهر رمضان إرسله السمي المحترم لما استعرناه وقد اردت عند وصوله إلى أن أرسله إليكم منم فوره ولكن لم الاق من المعارف من يذهب نحوكم فلذا وقع التسويق في الترسيل وحال بين عزمي عوائق التعجيل واردت هذا ايثارا مني علمكم على علمي ولو لا ذلك لما فعلت، فإنه علق مرغوب ولايتطيب النفس بإخراج المطلوب وكيف لا وردت ساحتها واشتمت من أزاهيرها فالقيت في الروض الأنف من الرياض الزاهرة والحدائق الباهرة والأزهار الفائحة وعلى شطباتها وأفانينها شحارير صادخة وزعاريز ساجعة من الأسرار المضنونة والأنوار المكنونة والمعارف المخزوة والعوارف المصونة والعلوم المختومة والفنون المكتومة وكان الإمام السهيلي أبو غذرتها وأم بنيتها وابن جدتها وصاحب طرفتها ولم يسبق أحد إليها بل ولم يحم حولها أحد ولا لديها، ففيها فوائد تساوي أناها أن يضرب أكباد الأبل إليها،

فيتحير لمثلها فكرى أو فكر مثلي ويبهت العقل أو كعقلي ولاغر و فإنه نسيج وحده وفريد عمله ومجده، فرب فتى ولا كمالك، ورب أسود ولا كغراب حالك الخ" [117]

وفي رسالة أخرى بعث به إلى نفس الصديق نعت وفاة الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني صاحب فتح الملهم فقال:

" لاريب أن وفاته خطب جليل ورزيه عظيمة اصيب بها العلم وأهل الإسلام وخصوصا الدولة الجديدة الإسلامية الشرقية، وقد تأثرتم جدا بهذا النبأ المولم كما تأثرت:

تلك الرزية تستوهى قوى جلدي فالطرف تسهره والعين تنزفه

وإن رزيتنا هذا رزية مشتركة نعزى بعضنا بعضا وفي الله عزاء من كل مصيبة... وكتابكم بالعربية كان رقيقا رشيق العبارة هز جوانحي وأثار حزني الكامن ينعى خطيب الإسلام شيخنا العثماني ولو كنت أسرعت في الجواب لهز كتابي عطفكم أو كنت انتهزت الفرصة للحديث لأبديت من أحزاني الكامنة ما يزعزع الأطواد ولله سبحانه في خلقه وملكه شئون وأطوار". [118]

---

[117] نفس المصدر، ص: **193–194**

[118] نفس المصدر، ص: **194–195**

وكان هو ذا أسلوب بديع في الكتابة والتقديم فهو يكتب عن كتابه القيم"معارف السنن" ويعرّفه على أهل العلم والأدب:

"فهذه هي "معارف السنن" وما أدراك ما هي "معارف السنن"! شرح لأنفاس إمام العصر المحدث الكبير الكشميري في درس "جامع الترمذي" وتوضيح لأماليه وجمع دُرره المبعثرة في مذكراته وتآليفه، بتعبير قاسيت فيه العناء وترتيب طال لأجله الرقاد واستيفاء لكل موضوع من غرر التقول عثرت عليها بعد بحث طول إلخ.

ثم بدأتي فيه قبل أحدى وثلاثين سنة وكنت شابا نشيطا لا أعرف مللا ولا كللا، حريصا في تصفح الأوراق، لا أشعر بضجر وسآمة وتعب، حيث امتزج النصب بلذة الروح والفكر، فكان كل مسألة ينشرح بها الصدر كرجل يفوز بضالته المفقودة بعد يأس وقنوط، ولكن لم تجتمع عندي ما يحتاج إليه أمثال هذه التأليفات القيمة من مراجع الكتب ومصادر البحث ومآخذ التحقيق في نشاة أمرى وبداءتي بالتأليف، مع أكبابي وعكوفي على الدراسة وعدم التفرغ للتأليف، وخطب ذلك يطول، فكان مثلي كرجل يعرف السباحة وألقى في البحر ولكنه

مكتوف اليدين ومصفود الرجلين، فرمى به في البحر مكبولاً مغلولاً، فكيف يسبح ويصل إلى الساحل ناجيا ناحجا...."[119]

كما كتب العلامة البنوري مقالات أدبية مليئة بالفصاحة والبلاغة عن عناوين مختلفة أمثال "النهضة الدينية الحاضرة بالهند ودارالعلوم الديوبندية هي أساسها"، و"النهضة السياسية الإسلامية بالهند ومكانة ديوبند فيها"، و" دين وعلم وسياسة حقائق تجب على الأمة معرفتها". قد نشرها أدباء العرب في مجلاتهم العلمية والأدبية وكان لهذه المقالات صدى وأثر في العالم العربي. وفي السطور التي تليه نذكر بعض النماذج من المقالات التي نشرت في المجلات العربية الأدبية،

"حاول المجلس العلمي بدابهيل "سورة" بالهند ان يطبع عدة كتب دينية علمية بالقاهرة التي فاضت منها ينابيع العلم والفضل، وأصبحت اليوم مركزا للحضارة الشرقية، فامتطيت أنا ورفيقي المحترم الشيخ أحمد رضا (سكرتير المجلس العلمي) صهوة الرحلة إليها، فلما ألقينا بها العصا، ولاقينا رجالا من أماثلها، ألفينا الجمهور،غير واقفين على المنهضة الحاضرة العلمية والدينية بالهند، وما للمعهد الديني الكبير بديوبند من تأثير عظيم في نفوس الأمة في العهد الحاضر

[119] مجلة البينات، العدد الخاص، ص: 189

دينا علما وسياسة وحداين غير واحد إلى أن أصدع بأبناء هذا المعهد العظيم وماله من المآثر الواضحات والباقيات الصالحات الخ"[120]

وفي الحق، هذه السطور تستبين لنا علمه الغزير وحبه للأدب الراقي الرفيع الإسلامي وعمه العلمي والأدبي، وأفقه الواسع العظيم.

[120] المرجع السابق، ص: **191**

الفصل الثاني

العلامة يوسف البنوري من حيث الشاعر

العلامة يوسف البنوري شاعراً

وكان الشيخ يوسف النبوري أديبا بارعا قوي الأسلوب، قد وهبه الله ملكة قرض الشعر باللغة العربية بأسلوب مختار بالسهولة والسلاسة والفصاحة والبراعة والروعة والأصالة التي يمتازبها فحول الشعراء من العصر الجاهلي. و أبياته نرى فيها أثارا من عهد الشعر القديم والشعراء المحضرمين، فيمكن أن نقابل قصائده الرنانة ومرثيته الحنانة مع قصائد أي شاعر وذلك فضل الله يوتئيه من يشاء. حقا أن القصائد التي قرضها العلامه يوسف البنوري تخلو من التصنع والتكلف، والكلمات العويصة، والتعقيد اللفظي والمعنوي، وتفيض رقة وعذوبة، ويمتاز بسهولة البيان وجزالة الأسلوب حيث لا يتعذر على القارئ إداركه وفهمه ويجد في أشعاره روائع أدبية، وملامح ومشاعر نفيسة.

نظم الشيخ قصائد عديدة ارتجالا حول مختلف الموضوعات، وفي كثير من المناسبات بدون تصنع أو تكلف. فالموضوعات التي تناولها في قصائده بوجه رئيسي هي كما يلي:

1. المديح النبوي وما يتصل به
2. المدح

3. الوصف

4. والترحيب

5. والتهنئة

6. والرثاء

7. والموضوعات المتفرقة

في الواقع قصائده تشابه وتقارب قصائد العصر الجاهلي والأموي والعباسي في القيم الفنية وفي رشاقة الأسلوب وفصاحة البيان لا في المضمون والغرض، لأنه ماقال في مدح ممدوحه ليس الغرض منها التعصب أو التفاخر القبائلي والمباهاة الطائفية إلا أنه تأثر من مأثرهم علماً أو ديناً أو سياسياً.

وفيما يلي أبيات مختارة من القصائد التي قالها الشيخ يوسف البنوري في الموضوعات المختلفة في عديد من المناسبات لنتعرف من خلالها على قدرته الموفورة الفائقة في قرض الشعر.

وله قصيدة أولى في مديح النبي صلي الله عليه وسلم، تشتمل ستّ وسبعين بيتاً نظمها يوسف البنوري رحمه الله على موضوعات الإسراء والمعراج، وكتب عليها البنوري رحمه الله نفسه ما نصه:

"شذرات الأدب في مديح سيد العجم والعرب" قصيدة أنشأتها بالهند، وأنشدتها في الحجاز بالحرم النبوي في الروضة المقدسة ما عدا أبيات النسيب التي في مطلع القصيدة من نحو خمسة عشر بيتاً حيث حال الحياء دون إنشادها بحضرة صفوة البرية ﷺ، وقد نشرت كلها في عدد مخصوص في مجلة "الإسلام" الأسبوعية بالقاهرة في 28 رجب سنة 1357 هـ الموافق 23 سبتمبر سنة 1938م وقد قوبل في أدباء القاهرة والحجاز بالاستحسان.[121] وهي هذه:

هام الفؤاد بحب الغيد واأسفي فمقلتي مزنها بالوجد قدكفا فالنفس

تصلي بنارالحب من وله والعقل في شرك الأهواء قد خطفا

قد كنت أحسب أن العزمبتعد عن الغرام وما إن خلته شرفا

حتى غدا لي شغلا شاغلا أبدا وصرت بالصد والهجران ملتحفا

فتارة طيف سلمى مؤنسي وهنا وتارة حب سعدي مضري أسفا

وتارة شعف الهيفاء مستعر ومثله شغف العجزاءقد قصفا[122]

---

[121] القصائد البنورية، ص: 56

[122] نفس المصدر، ص: 56–57

ذكر في هذه القصيدة بعثة محمد المصطفي صلي الله عليه وسلم التي كانت الدنيا كلها تتلهف إليها بشوق كبير كي ينتهي الظلم والعدوان وينتشر العلم والنور وكي يعلو الحق والصدق ويزهق الباطل والكذب، فالله سبحانه وتعالي جعله صلي الله عليه وسلم نوراً وهدىً للناس وأعطاه معجزة كبيرة وبرهانا لكل شيئ وهو القرآن الكريم الذي يدل على حجته وعلى حقه وتفوقه في جميع أرجاء المعمورة.

وله قصيدة أخرى في بعثة النبي الأكرم والشفيع الأعظم ﷺ تشتمل على ثلث وسبعين بيتا وصف فيها قدرا كبيرا من شمائله الكريمة و كما هائلا من فضائله المحمودة بأسلوب رشيق يمتاز بسهولة اليان ومتانة العبارة وروعة الكلمات مما يليق بشأن النبي ﷺ ، وفيها يقول في ذكر ممدوحه صلي الله عليه وسلم:

طاف الخيال من الحبيب فزارا فاهتز قلب المستهام وطارا

سرت المسرة في العروق جميعها كدم الحياة سرى هناك ودارا

تدل هذه القصيدة علي أنه رحمه الله تعالي كان يحب الرسول عليه الصلاة والسلام حبا جما، فقد عبر فيما ذكرناه آنفا مشاعر المحبة والمودة

وأحاسيس العشق والصبابة تجاهه صلي الله عليه وسلم التي كانت تفور في قلبه وتظهر ببيانه ولكن تكنها صدره، فلما نظم أبدع وأجاد وذالك لأنه بحر في محيط لا محدود من الثقافة والإبداع الفني والأدبي.

ومنها مايدل علي أن خير الوري وسيد العرب والعجم صلي الله عليه وسلم هو من سر تخليق هذه الدنيا ومقاصدها التي لا يمكن ذلك إلا بولادة خاتم النبيين صلي الله عليه وصلم وبعثته الميمونة في هذ الكون بكونه أغر الناس وأبرهم في الدنيا والأخرة.

هوسر تكوين الدنى وكيانها من نوره ظهر الورى أطوارا
واهتز من سحب الهداية محلها وتخصبت جدباؤها أنهارا
بث الهداية في الأنام بجهده ومنائر الشرف الرفيع أنارا
فتزعزعت أركان كفر في الدنى وتزلزلت أطواده فانهارا
والله نوه في الكتاب بشأنه يتلى دواما دلجة أسحارا[123]

[123] القصائد البنورية، ص: 86.

نرى أن هذه القصائد كلها تدل على مستواه الرفيع من القدرة على قرض الشعر باللغة العربية، خاصة فيما يتعلق بأبيات التشبيب. فنجد فيها أسلوباً قويًا مختاراً بالفصاحة والبلاغة والدقائق الفنية لتسكن الأكباد الهائمة وتذكى لوعة الحب والغرام في القلب، والحنان والولاء للنبي ﷺ، بشعره العذوب وقصائده الرقيقة التي تظل معانا مكتوبة ومسموعة .

ونظّم الشيخ البنوري رحمه الله تعالي قصائد عديدة في مناسبات مختلفة تتبلور قدرته البيانية وخياله الواضح السهل، ومنها ما قال لما أرسل كتابا إلى صديقه الفاضل مولانا عبد الخالق نافع أستاذ دارالعلوم بديوبند 6 جمادى الأخرى 1354 من الهجرة، وهي تحتوي على أحد وعشرين بيتاً ومنها:

تألق برق في الدجى فتبسما وهيج من ذكر الحبيب متيما

يكاد وميض البرق عند اعتراضه يضيئ خيالا جاؤ منه مسلما

فمن مبلغ عني مغلغلة الهوى سلاما وذكرى واشتياقاًمصمماَ

فهجت اشتياقا والغرام مهيج فما كان إلا طيفه متوهما

وقد طال بي عهد الحبيب وكلما يهب نسيم بالكتاب فهمهما

ويهتز عطف الوجد بعد قراره وكان كقدح الزند يورى مكتما

ألا يا نسم الصيح بلغ تحيتي سلاما وذكرى واشتياقاًمصمماً

إلى من لقاه للعيون مقره ومحياه نور ما أنار وأنجما

إلى من كروض منتداه منمنم وزهررياض الشوق منه تبسما[124]

الوصف:

وكان الشيخ يوسف البنوري بارعاً في الوصف فنظم فيه قصائد عديدة وصف فيها كتابا وخصائصه أو أظهر فيها أريحيته أو أشياء أخرى كانت لهم موضع الإعجاب والتقدير، وفيما يلي قصيدته التي تشتمل على ثمانية عشر بيتاً في وصف الكتاب "الروض الألف" الذي أرسله هدية إلى صديقه الحميم المحترم مولانا عيد الخالق نافع، مطلعها:

بهاء العلم في روض نراه ويرتاح الكئيب إذا رأه

فروض الأنف روض من علوم لمن يأتي بفهم أو أتاه

صغير حجمه مع كبرعلم فمن يقرأ ويفهمه دراه

ففيه كنز علم أو جبال بحار أو معين من ارتواء

فروض الأنف زانته علوم من النحو البديع وما حواه

---

[124] نفس المصدر، ص: **180– 18**

فروض قدحوى ثمر العلوم فمن يقدر به يقطف جناه

ومن يطعم حلاوته بحظ يجد في قلبه ذوقا سواه

يجد في صدره علما عظيما من الأسرار من يقبل هداه

يجد في جيده مضنون علم لمن يحلى رخيصا من حلاه

وفيه من بديع العلم نور فمن يهدي به يأخذ سناه

زهور أو بدور أو بحور فلا أدري بو صف ما دناه[125]

وأيضا يصف عن دارالعلوم الإسلامية بـ"تنددو الله يار" نشأت بساحة السند وجمعت بين جبنيها أفذاذا من رجالات الفضل والكمال، وهو يقول إظهاراً لعواطفه ومشاعره بارتجال.

أتانا ربيع بعد حين فأنغما بروض جديب ظل منه مسهما

فطاب نسيم الصبح حتى إخاله يروح بأنفاس الكرام تنسما

تباشير صبح أو نسائم رحمة تنفس عن وجد وبشر تنسما

تبدي صديع الفجر من بعد دلجة أضاءت له الآفاق نورا تبسما

[125] مجلة البينات : العدد الخاص، ص: 196

وإن جديبا حين يشتاق للحيا تداركه سيب الإله ترحما

هي الدوحة الخضراء ترجوا كمالها لتثمر للأوطان إذ أمحل الحمى

بفضل إله ذى المواهب جمة رحيم كريم كان أكرم أرحما

فصلى على صفو البرايا محمد متمم قصر للنبوة خاتما[126]

وقال الشيخ رحمه الله قصيدة تحتوى على 32 بيتاً في وصف معارف السنن وبين فيها مزاياه وخصائصه وفيما يلي بعض أبياتها:

تغرد طير بالهنا والتبسم فنبه قلبا غافلا بالترنم

تباشير بشر أو نسائم رحمة تهب على قلب عميد متيم

فقمت سريعا في نشاط وهمة وجهد بليغ منتج لم يعقم

فأوضحت من توفيق ربي مسائلاً رخيم الحواشي مثل وشي منمنم

وألفت في شرح الحديث معارفا فراقت جمالا مثل بدر وأنجم

وكم من صعاب بت فيها مفكرا لتذليلها بالبحث غير مكتم

وكم من مظان بت فيها مسهداً وأصبحت فيها هائما كالمبرسم

[126] القصائد البنورية، ص: **253– 254**

فأدوعت فيها من لآل ثمينة نتائج بحث فوق در منظم

نتائج فكر من علوم أكابر بجمع وترتيب ونظم مسجم

وكابدت فيها إذ ظفرت بفرصة من الوقت حتى صرت مثل المتيم

ودع عنك علما غير علم نبينا وهاك حديثا من نبي مكرم

ودونك شرحا كاشفاسنن الهدى بشرح مبين واضح غير مبهم[127]

ونظم الشيخ البنوري خمس وثلثين بيتاً في وصف فيض الباري وهو مجموعة أمالى شيخه العلامة أنورشاه الكشميري في درس صحيح البخاري. قد أنشأ البنوري هذه الأبيات إظهاراً للأريحية التي أخذته عند مطالعة مواضيع كثيرة من فيض الباري. فأبرز طربه وأريحيته لتمثل للناظرين صورة إجمالية من الكتاب في سهل أمره، ومن تلك الأبيات:

هب النسيم على القلوب ومالا فترحل الحزن المقيم وزالا

فلق الصديع واطمأن معرس مما يعاني في الرحيل كلالا

جاء البشير فظلت أطرب بهجة ورجوت من ليلى الحديث وصالا

---

[127] نفس المصدر، ص: **262–263**

فالقلب يطرب والعيون قريرة دنت المنى للطالبين منالا

قد فاض من فيض الإله سحائب يشفي القلوب زلالها سلسالا

أملى الإمام الشيخ أنور علمه من صدره متدفقا فأسالا

فجرت ينابيع الحديث بدرسه والله أجرى فيضه يتوالى

فدنث في درس الصحيح كنوزه تغنى محاويج العلوم عيالا

حكم بمانية تفور عيونها تسقى العطاش إلى الحديث زلالا

دور ليفتخر الأنام بنظمها غرر زهت للناظرين جمالا

عقد فريد في الشروح كأنه بدر تلأ لأ في الدجى جوالا

شرح تبدى في الشروح كأنه برق تألق في الدجى وتلألأ

يحوى معارف جمة وعوارفا ولطائفا وطرائفا تتمالا

وحقائقا ودقائقا ورقائقا وبدائعا وروائعا تتوالى

وجواهرا وزواهرا مزدانةً ومنارة للحائرين ضلالا[128]

---

[128] نفس المصدر، ص: 224–226

الفصل الثالث

الرثاء في شعر محمد يوسف البنوري

الرثاء في شعره:

إنّ الموضوع الرئيسي الآخر الذي قرض فيه الشيخ يوسف البنوري شعراً كثيراً هو الرثاء، وقد كان هو المضوع أحب الموضوعات الشعرية عنده، فهو يجيد الرثاء حيث يقدم أمام القراء تصويراً صادقاً بما يندفق من قلبه عواطف الحزن واليأس والألم ويظهر مشاعره الحزينة. وقرض فيه مراثي عديدة وأبيات كثيرة على شخصيات بارزة ورجال الفضائل في مختلف الميادين. وأسلوبه في ذلك يضاحي أسلوب فحول الشعراء العرب المتقدمين مما كانوا بارعين في إجادة البيان والتأثير، وقد رثى هو شيخه الكشميري قصيدتين تشتملان على 34 و68 بيتاً على وجه الترتيب، كما له مرثية على وفاة العلامة شبير أحمد العثماني ومحقق العصر الشيخ حسين أحمد المدني، ونذكر بعض أبيات منها على النموذج.

العين ذرافة والقلب حيران والطير تشدو فتبدو منه أشجان

الشمس كاسفة والأرض مظلمة والمزن تبكي فسالت منه بلدان

وفي السماء ضجيج بالعويل بدا حتى بكت منه أطلال وعمران

وللبحار حنين بالخرير بدا وللثلوج لذا ذوب وسيلان

وللهواء أنين بالصرير جرى وفي الجبال حراقات ونيران

وللسحاب أزيز حين رعدته وللقدور لذا غلى وفور ان

خطب ألم على الإسلام مكتنفا تزلزلت منه أطواد وأركان

خطب وقدصدع الأكبادمن شجن فما عزاء ولاصبر وسلوان

بلية فجعت رزية وقعت من حملها عييت شيب وشبان

وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالإسلام سلوان

قضى الحياة أمام القوم مرجعهم شيخ الحديث فقيه النفس سفيان

بحر البحور وشمس المجد مسندهم فيما روى من حديث العلم إخوان

حبر ورحلة أعلام وحجتهم فيما سرى بحديث الفضل ركبان

شيخ الشيوخ إمام العصر عمدتهم الشاه أنور نور الله برهان[129]

وقال في رثائه الأخر على وفاة أستاذه العطوف أمام العصر أنور شاه الكشميري رحمه الله.

أصيب المسلمون اليوم طرأ بداهية أجل بلا ممار

ألا قدما حوادث قد ألمت وجلت هذه كل الكبار

[129] القصائد البنورية، ص: **156– 158**.

وكان الشيخ أنور نور رب أضاء القفر منه والبرارى

فشمس للمعارف والعلوم ونور في العوالم منه سار

إمام حجة الله بأرض وحافظ عصره شيخ الديار

همام بارع الأعلام ثبت فقيه النفس من غير التمارى

نبيه جل في الأقطار قدرا أمين كان مقبول الخيار

وجيه شاع في الآفاق صيتا فكوثر علمه بالخير جار

إمام قد تفرد في المعالي وعمدة قارئ إرشاد سار

تلاطم بحره شرقا وغربا فبسط علمه من فتح بار

ورحلة عصره من كل قطر ملاذ للكبار والصغار

إليه المنتهى في كل علم ورواية الحديث فلا تمار[130]

وقال الشيخ البنوري مرثية طويلة على وفاة محقق العصر الشيخ شبير أحمد العثماني صاحب فتح الملهم تحتوي 47 بيتاً. ومنها ما يلي:

محدث بارع مفسر ندس جو كبير دقيق الفكر والنظر

علامة زكن فهامة لسن روض أنيق جميل النور والزهر

---

[130] نفس المصدر، ص: **162–163**.

محقق العصر في علم وفي حكم محنك الدهر في مستشكل عسر

في قلبه علم قرآن وحكمته يبدي معارفه في كل مختصر

كم من مشاكل علم غاص لجتها وحلها بدقيق الفكر غير مقتصر

كم من دقائق بحث قام يكشفها كم من حقائق أبدت دقة النظر

إذا ارتقى في أعالي الرأي لاح له مافي الغيوب هنا من كل مستتر

تريك نور الذكاء سيماء غرته إذا تبلج في مستصعب الخبر

مفكر طالما أشجت بدائعه أولى النهى ببديع الرأي كالزهر

مدبر طالما أزهت محاسنه في كل معترك من كل مستعر

حلم وقار أناءة تزينه خطابة منطق كاللؤلؤ النثر

غور وفكر وتحليل لمعضلة خطابه في الندى عقد من الدرر

جلا الظلام بنور راق منظره بفتح ملهمه في خدمة الأثر[131]

وله مرثية طويلة أخرى على وفاة استاذه المحدث الكبير شيخ العصر السيد حسين أحمد المدني تشتمل على 136 شعراً، ومن تلك المراثي:

حار الفؤاد ودمع العين قد سكبا إذ جاءنا نبا للعقل مستلبا

---

[131] القصائد البنورية، ص: **240–241**

نعى الإمام الذي فاق الأنام على من لانظيرله في الدهرقد ذهبا

خطب عظيم دها الإسلام زعزعه رزءكبير فما في العيش ماارتغبا

خطب كبير ورزء فادح جلل للدين والعلم والأخلاق واكربا

قضى الحياة الذي تحي القلوب به قضى الحياة ملاذ القوم والنجبا

من كان يطفي لهيب النار لحظته من كان يسلى عميد القلب مضطربا

حسين أحمد غيث القوم نجعتهم في أرض هند معين الفيض قد نضبا

حنادس الزيغ من إرشاده محيت فالشمس تكشف من إشراقها الحجبا

معاهد العلم من تدريسه نضرت والغيث ينبت بالفيضان مجتديا

محافل الساسة الأخبار زينها بالفكر للدين في دفع اللوا رغبا

أين الجبين الذي سيما السجود به كأنه البدر إذ يبدو فلا عجبا

أين العظيم- الذي الدهر همته تعلقت بالثريا جاوز القطبا[132]

هناك مراثي عديدة أخرى قالها الشيخ البنوري على وفاة أصدقائه وأقاربه، ولا شك أن كل قصائده في الرثاء هي أكبر دليل على ما كان لديه من قدرة غير عادية لنظم الشعر والتنوع في الأسلوب التي تمتاز بسهولة البيان وفصاحة

---

[132] نفس المصدر، ص: 255 –257

اللسان، لأنه كان يملك نصيبا كبيرا من اللغة والأدب والفنون اللطيفة فأسلوبه أيضا يتميز بالاعتناء بالإطار وبعض الصور وأفكاره التي يتناولها ويستوحيها من الأحداث الإسلامية والاجتماعية وأهم ما جاء في المراثي وعرف عنه المغالاة في تصوير الفواجع مع قلة عاطفة وقلة حزن، كما عرف أسلوبه بتقليد الشعراء القدامى من العرب وخصوصاً في الغزل، كما ضمن مواضيعه الفخر والخمرة والوصف، وهو يملك خيالاً خصباً وروعة ابتكار ودقة في الطرح وبلاغة في الإيجاز وقوة إحساس وصدقا في العاطفة وعمقا في المشاعر.

التهنئة والترحيب:

نرى أنه اهتمّ بنظم قصائد ترحيبية استقبالاً لشخصيات بارزة بمناسبات مختلفة أخرى وقصائدهم في هذا الموضوع أيضا بعدد ملحوظ، وكذلك أنشأ بعضا منها في تهنئة شيوخه وأصدقائه بالمناسبات العديدة.

وأول ما بدأ الشيخ البنوري رحمه الله من الشعر ما ارتجله عند قدوم شيخه الجليل الذي كان له هو محباً وحبيباً إلى الجامعة الإسلامية بدابيل سنة 1347هـ، بعد إفاقته من المرض الشديد وفيما يلي أبيات مختارة من تلك القصيدة:

مالي أرى الناس فيهم ماج سراء وحاطهم بعقيب المحل سحاء

مالي أرى الورق في الأشجارصادحةً فهن تشدو وللآذان إصغاء

مالي أرى الأرض بالأزهار مزهرة وكل روض بها في الوشى صنعاء

مالي آرى القلب قد زالت رزيته وعمه بعقيب الغم سراء

مالي أرى الزهريسخو بالشذى عبقا فالورد والآس والقيصوم فوحاء

أحيى القفار بمزن العلم هامية إن الفلاة يجود المزن خصراء

خنادس الجهل من إرشاده محيت فالليل منهزم والشمس شرقاء

تشفي سحائبه أكباد صادية يطفي بزورته وجد وحراء

بحر العلوم فما بحر يشاكله يروى الأغلة منه كيفما شاءوا

في العلم أقدامه تعلو ذرى قلل له الوجاهة عند الله علياء

شيخ الشيوخ إمام القوم قاطبة ورحلة لهم في العصر قصواء[133]

وأيضاً أناسب أن أنقل بعض قصائده الشهيرة التي أنشأهامحمد يوسف البنوري في تهنئة تذكار جلوس نظام الملك آصف جاه السابع السلطان مير عثمان علي خان ملك حيدر آباد وما والاها من البلا، قرضها الشيخ بأمر أستاذه محقق العصر

[133] القصائد البنورية، ص: **90 – 95**

الشيخ شبير أحمد الثماني – طالت حياته الطيبة – سنة ذي القعد 1355هـ .

وكان أراد أن يرسلها إليه تحية وتهنئة منه. وهذه القصيدة تتضمن على 17 بيتاً:

قشعت دياجر ظلمة فتنورا وجه البسيط وكان أدهم أغبرا

لله من زمن تراه إذا انجلى في الليلة الدهماء بدرا مسفرا

عصر تزهى في الزمان ببهجة نور تبدي في القلوب فأسفرا

شرق الذكاء واستنار بسيطة عمّ الجمال بها فراقت منظرا

طارت قلوب العالمين مسرة والطير تصدح في الغصون مهددا

في كل قطر للأنام محافل قد جاور البادون فيها الحضرا

لاغرو أيام زهت ببهائها من ذكر عهد للأمير تنضرا

تذكار عهد من جلوس مليكنا مستمجد ملك عظيم في الورى

ظل الإله المير عثمان العلي فاق الملوك معالما ومآثرا

تاج الملوك وغرة لجبينهم أضحى بفضل للملوك مؤمرا

ذو عزة قعساء والفضل الذي كالبحر يروي العالمين إذا جرى

همم له في الدهر درة تاجه جود له استحيى السحائب همرا

إن حز طبق غير مخطئ مفصل أو قال أنجح أو تدفق أغزرا

أحيى الماهد حين ماتت فيضه أحيى رسوما للملوك وأوفرا

سعد الزمان يوجهه وبفضله برع العصور بعهده فاستكبرا

أكرم به من معدن الشرف الذي قد طاب عرقا طاهرا ومطهرا

أبقاه رب في الزمان مؤيدا دين الإله به يكون مؤزرا [134]

قد استخدم فيها الألفاظ السهلة السيالة وتجنب التعبيرات الغربية والألفاظ الركيكة، ولم يبالغ في مدحه شيئاً.

وله قصائد ترحيبية أخرى من نفس الموضوع ومنها ما قاله استقبالاً للمحدث الفاضل الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي النزيل بالجامعة الإسلامية بدابيل وتشتمل القصيدة على 24 بيتاً كما له قصيدة طويلة تحتوي على 70 بيتاً نظمها ترحيباً بالسيد عطاء الله شاه البخاري والشيخ حبيب الرحمان اللدهيانوي ولهما على الأمة منة عظيمة لإستئصال الفتنة المرزائية القاديانية والفتنة الخاكسارية في الهند، وما عداهما من الخدمات الجليلة السياسية الوطنية في نهضة المسلمين، كما قال الشيخ أبيات عديدة مهنئا للخال المحترم

[134] القصائد البنورية: ص: 212-214

السيد فضل خالق والخال المكرم السيد فضل صمداني وتشتمل القصيدة على 41 بيتاً

ونظّم كذلك قصيدة طويلة تتضمن 47 بيتاً مهنئاً لفضيلة الأستاذ الكبير عبد الحليم محمود شيخ الأزهر. وفيما يلي أبيات من القصيدة الأخيرة التي هي أكبر دليل على أسلوبه القوي الذي يضاحي أسلوب البحتري الذي يتجلى في أبيات الشيخ وهذه:

أتانا الذي يشفي القلب زواره ويأسو كلوم القلب ما يثعب الدما

أسرته فيها النجابة أبرقت كبرق ترى وسط السماء تبسما

تويا دثار العلم وهو شعاره شعار كعين الشمس في كبد السما

تمثل في عيني تماثيل فضله كبدر تجلى بعد غيم وأنجما

تكاد قلوب الزاءرين لوجهه تطير سرورا إذ ألم تكرما

خدمت علو ما والمعارف جمة فأيمن ذكراها الجميل وأشأما

فيا سيدا حبرا عظيما بدهره تذكرت عهدا في العلوم تقدما[135]

[135] نفس المصدر ص: **279**

بالإضافة إلى القصائد والمراثي والترحيب والوصف نظم الشيخ يوسف البنوري أبيات كثيرة في موضوعات مختلفة أخرى يصعب إحصاؤها وإحاطها.

وقال هو بيتاً مخمساً (التخميس عند الشعراء هو أن يضاف ثلاثة أشطر إلى شطري البيت) يبلغ عدد مقطوعاته 11 على الأستاذ شيخ الأدب مولانا إعزاز علي الأمروهوي بدارالعلوم ديوبند.

رأيت الخير في كنف التولى وأمنا في التغزل والتخلي

فأثرت الخمول على التجلي ألام على التجنب والتخلي

فقلت أجيبهم هذا شعارى

وإني طفت في الأقطار طراً وقد أفنيت في الأسفارعمراً

وأوطاب المزاد تركت صفراً لقد طوفت في الآفاق دهراً

وجبت البيد والقفر الصحارى

فسابرت البقاع ومن عليها ووجهت مطياتي إليها

ولم أترك مقاما من لديها وجربت البلاد ومن عليها

وميزت الصغار عن الكبار[136]

[136] نفس المصدر، ص: **248– 249**

ولقد اتضح لنا من خلال دراسة هذه القصائد في مختلف الموضوعات كما ذكرنا في هذا الباب بأن الشيخ يوسف البنوري لم يكن كاتبا رائعا وأديبا أريبا فحسب بل إنه كان شاعراً مجيداً متعدد الجوانب والأبعاد، كان له ذوقاً خاصاً للشعر العربي، وقدرة فائقة على نظم الشعر باللغة العربية في أسلوب يضاهي أسلوب فحول الشعراء المتقدمين من العرب، فإنه اختار أسلوبا مشوقا جذابا في سرد معانيه، وعرض أفكاره بلغة تمتاز بحسن العبارة وجودة البيان، كما نجد أن لديه قدرة بديعة على اقتباس المعاني والكلمات من القرآن والأحاديث النبوية. إنه استخدم في قصائده لغة عذبة وكلمات فصيحة بعيدة عن التصنع و التكلف، وذلك بصياغة متقنة وتراكيب محكمة في عبارات ذات صبغة علمية.

الخاتمة

قد لاحظنا من خلا الدراسة أن الهند مهد ومركز للعلوم والفنون منذ عهد عتيق وكانت هي خصبة غنية ومواردها كثيرة وافرة للجميع، كما كانت هي سعيدة حيث أشرقت بنور الثقافة الإسلامية والعربية بعد نزوح العرب من التجار المسلمين إلى بلاد السند وغيرها من المناطق المجاورة لها، ثمّ ازدهرت الهند ازدهارا ملموسا بعد أن استوطنوها وحاولوا إثراء ثقافتها ونشأ الخير فيها عن التواصل والإجتماع فيما بينهم.

على مر العصور دخل فيها السلاطين المسلمون من السلالات الغزنوية والغورية والخلجية واللودهية والسورية والمغولية واحدة بعد واحدة وحكموا عليها ثمانية قرون ونصف، فزادت ثروتها وسعادتها وبلغ إزدهارها وترقيتها إلى ذروة الكمال في عبر العصور ظل تحت الحكم الإسلامي.

واستمر الوضع على ذلك حتى دخل الإنجليز في الهند بغرض التجارة و أسسوا شركة تجارة، فما زالوا يشتغلون بالتجارة حتى وطدوا أقدامهم في الدولة و بدأوا يدبرون مؤامرات شنيعة ضد المواطنين الهنود. و بعد قليل احتلوا بلاد الهند وأخذوا يفرقون بين الجماعات الدينية حتى بطشوا مخالبهم الدامية على رؤوس

الأبرياء، وطفقوا يظلمون الهنود ولم يألوا جهدا في تثبيط الهمم وتكبيل العقول والأفكار وتغميس العيون للمواطنين الهنود، فغضب الهنود بسلوكهم العدائي وبأوامرهم تدس مشاعرهم الدينية، وبتدخلهم الإجباري في الشؤون السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية للهنود عامة و للمسمين خاصة. ولما بلغ السيل الزبى شمر الهنود عن ساق جدهم للجهاد ضد الإستعمار البريطاني وحرض العلماء الناس عليهم حتى حدثت ثورة (1857م) لتحرير الهند من الجرثومة الإنجليزية الإستعمارية، وهي نقطة تحول في التاريخ الهند.

وبما أن المسلمين كانوا زعماء وقوادا في هذه الثورة اشتدت مواقفهم العدائية من المسلمين حتى مارسوا كل نوع من الظلم والعدوان الذي يعادل هملايا في شناعته وقباحته. قد صبوا جام غضبهم على المسلمين إلى حد ينتدى له جبين الإنسانية وتقشعر الجلود.

ولم يكتف بذلك الإستعمار الإنجليزي، إنه وضع نظاماً دراسياً جديداً تخالف المناهج الدراسية القديمة وفرض دراسة العلوم الجديدة التي تصالح لأهداف الإستعمار البريطاني الغاشم في المدارس الإسلامية ومراكز العلوم القديمة حينذاك، وبالتالي تسربت الخلافات الداخلية في صفوف المسلمين

وتشبثت القوى المعادية للإسلام في المجتمعات الهندية. فهذه الفترة من القرن التاسع عشر الميلادي تشكل أياما عصيبة لحياة الهنود بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة.

وفي أعقاب هذه الثورة أصبحت أمر المسلمين في هرج ومرج شديد، وبدأت حالة المسلمين والعلوم العربية والإسلامية تتدهور من سوء إلى أسوا، ويزداد شقاءهم وبؤسهم يوماً فيوماً حتى وقع المسلمون في مرحلة عصيبة للغاية في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند حيث انهار نظامهم التعليمي وحكمهم وتزلزلت أركان معتقداتهم وتزعزعت أفكارهم. تمّ استيلاء الاستعمار الإنجليزي بجميع شؤونه وسمومه وفنونه ومكره ونفاقه وجنونه.

نظراً إلى خطورة الوضع، نهض نخبة من العلماء المجاهدين لاستئصال الجرثومة الفتاكة من جذورها، وعلى رأسهم الإمام محمد قاسم النانوتوي والعلامة رشيد أحمد الكنكوهي وأديب العربية ذو الفقار علي الديوبندي والشيخ الحاج عابد حسين وغيرهم وأقاموا مدرسة ديوبند في 1866م. وبعد زمن قليل تحولت المدرسة إلى جامعة إسلامة كبيرة ثم أنشئت المدارس والمعاهد الدينية على منوالها وانتشرت في أرجاء البلاد. وهدف هؤلاء الغياري من العلماء المخلصين بإنشاء

هذه المدارس والمعاهد الإسلامية لاسيما مدرسة ديوبند عرفت بدار العلوم ديوبند إلى الحفاظ على ديانة المسلمين وحمايتهم من البدع والخرافات السائدة آنذاك وإلى تصحيح صلة المسلمين بالله والعودة بهم إلى الكتاب والسنة، وإلى صوغهم في الثقافة الإسلامية مع إصلاح شؤونهم تعليماً وديناً وحضارةً واجتماعياً بإثبات أن الإسلام رسالة الله الخالدة الباقية التي تصلح لكل زمان ومكان بما يحمله من مقومات الحياة المتجددة، ومن الشمول والمرونة والنعومة في الحياة .

وبجهود هولاء العلماء المخلصين نجحت دار العلوم ديوبند في تحقيق أهدافها وأغراضها في زمن يسير ولعبت دورا بارزا في محو البدع والطقوس الضالة والخزعبلات إلى حد كبير، ونشر التعاليم الإسلامية والعلوم الدينية من التفسير والحديث والفقه والعقائد والكلام وما إلى ذلك، وصارت حصنا منيعا للإسلام ومعسكرا منيعا ضد أعداء الإسلام. قد تخرج منها العلماء الربانيون ونوابغ العلم والمصلحون والمرشدون المبلغون والكتاب وزعماء السياسة الذين قاموا بخدمات جليلة ونشاطات علمية في تثقيف أبناء البلاد بالثقافة الإسلامية، وإشاعة القيم الدينية في الهند وخارجها، فهم تركوا بصمات محمودة خالدة على

المجتمع الهندي لاسيما في بيئات المسلمين عن طريق التعليم والتأليف والإرشاد والتبليغ والصحافة والخطابة وغير ذلك بحيث لايدانيها أية مدرسة أخرى في العالم. فتطورت دار العلوم ديوبند بسرعة فائقة واكتسبت قداسة وسيادة في جميع ميادين الحياة.

ومن العباقرة القلائل الذين أنجبتهم دار العلوم هو العالم الجليل والمحدث والأديب الشيخ محمد يوسف البنوري رحمه الله. وهو واحد من أعلام الهند والعلماء العباقرة الذين كانوا في القرن الرابع عشر الهجري. كانت شخصيته عديدة الجوانب وله مكانة عظيمة في الانقطاع للعلم والعلم، وفي خدمة علم الحديث والدراسات العربية فاشتهر بدقة نظره وعلو كعبه وعمق تفكيره في التفسير والحديث والفقه وقريحته المبدعة في النثر والشعر.

قد خلف آثارا جميلة رائعة وبصمات هامة في مجال الدراسات العربية التي تتزين بها المكتبات العربية والإسلامية والأدبية في الهند وباكستان وبنجلاديش وفي العالم كله.

ولد الشيخ البنوري رحمه الله في أسرة علمية دينية سنة ألف وتسع مائة وثمانية ميلادية في باكستان. تعلم القرآن الكريم ومبادئ العلوم على والده وخاله في

بشاور وقرأ الكتب المتوسطة من الفنون المختلفة من الفقه وأصوله والمنطق والمعاني والأدب وغيرها على علماء بشاور وكابل. ثم التحق بأزهر الهند دار العلوم ديوبند للاستزادة من العلوم والفنون وكمل فيها الدراسات العالية في التفسير والحديث والفقه وأصولهما والعلوم الأخرى على مشايخها وعلمائها الكبار: منهم إمام العصر المحدث الكبير محمد أنور شاه الكشميري، والعالم الجليل شبير أحمد العثماني وشيخ الإسلام والمحدث حسين أحمد المدني. الذي انتفع به إلى الغاية ورافقه حتى صار أمينا لعلومه وشارحا لثروته العلمية وخير ترجمان له. نفع الأمة بتحقيقات شيخه القيمة التي لايبلغ حقيقتها إلا من رزقه الله ذهنا ثاقبا وذكاء وفطنة وبراعة ونباهة.

ثم هاجر إلى باكستان لينشر علومه لأهالي باكستان فأسس جامعة مستقلة بإسم المدرسة العربية الإسلامية في بلدة نيو تاؤن (التي تسمى الآن بعلامة محمد يوسف بنوري تاؤن، كراتشي، تقديراً لجهوده العظيمة في خدمة العلم والدين) بفضل الله أصبح هذا المعهد العلمي في وقت قليل مركزا كبيرا ومرجعا عظيما يتوجه إليه مئات من الطلبة من أنحاء المتفرقة عشقا بمناهجه الممتازة وحسن تعليمه ونظامه وتربيته.

ومن أهم خدماته الجليلة هو كافح الفرق الزائغة والمذاهب الهدامة والأفكار الإلحادية، والآراء اللادينية من أمثال فتنة عناية الله المشرقي، وغلام أحمد برويز، وفتنة الدكتور فضل الرحمن، والفتنة القاديانية، قد بذل الشيخ البنوري جهودا جبارة في سبيل إخماد هذه الفتن تأليفا وكتابة ومناظرة بوجه إلى وجه حتى استأصل شأفتها.

كما أنه ألّف كتبا قيمة في مختلف العلوم والفنون، وشروحا بديعة. وكتب مقدمات علمية فائقة على أمهات الكتب الحديثية ولكن مسامهته في علم الحديث البنوري فريدة. من أهم مؤلفاته "عوارف المنن مقدمة معارف السنن"، "بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب"، "يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن"، "نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ محمد أنور"، "الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره"، و"فص الختام في مسألة الفاتحة خلف الإمام"، و"كتاب الوتر"، وغير ذلك كثير.

وله –رحمه الله – مقدمات عديدة نفيسة قيمة، من أهمها مقدمة فيض الباري، ومقدمة نصب الرواية، ومقدمة مقالات الكوثري، ومقدمة عقيدة الإسلام، ومقدمة نصب الرواية، ومقدمة مقالات الكوثري، ومقدمة عقيدة

الإسلام، ومقدمة العبقات، ومقدمة إكفار الملحدين، ومقدمة أوجز المسالك، ومقدمة لامع الدراري، ومقدمة جزء حجة الوداع وغيرها من المقدمات النافعة الممتعة. وما هو جدير بالذكر هذه المقدمات ليست مثل ما كتب ويكتب رجال العلم والفن من مقدمات عادية لتقدير المؤلف أو التأليف أو جهوده المضنية بذل في كتابتها وتأليفها، على العكس فكتب الشيخ يوسف البنوري مقدمات دقيقة عديدة على بعض الكتب القيمة فيما يتعلق بعلم القرآن والحديث والفقه وما إلى ذلك من العلوم الأخرى وألقى فيها آراء علمية قيمة بكل معانيها ونواحيها،كأنه أوجد طريقا نوعيا بين الأوساط العلمية والأدبية في شبه القارة الهندية وقد نال قبولا عاما وحفاوة شعبية واحتراما واسعا بينهم. وذلك يميزه عن غيره من علماء الهند في هذا النوع.

وأما فيما يتعلق بالشعر العربي فتتجلى فيه عبقريته بكل وضوح. وإنه كان الشيخ يوسف النبوري أديبا بارعا قوي الأسلوب، قد وهبه الله ملكة قرض الشعر باللغة العربية بأسلوب يتسم بالسهولة والسلاسة والفصاحة والبراعة والروعة والأصالة التي امتاز بها فحول الشعراء في العصر الجاهلي. ونرى في أبياته

أثارا من عهد الشعر القديم والشعراء المحضرمين، فيمكن أن نقابل قصائده الرنانة ومرثيته الحنانة مع قصائد أي شاعر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إنّ القصائد التي قرضها العلامه يوسف البنوري تخلو من التصنع والتكلف، والكلمات العويصة، والعقيد اللفظي والمعنوي، وأشعاره تفيض رقة وعذوبة، وتمتاز بسهولة البيان وجزالة الأسلوب حيث لا يتعذر على القاري إداركه وفهمه وإنما هو يجد في أشعاره روائع أدبية وملامح نفيسة عربية. فإنه اختار أسلوبا مشوقا جذابا في سرد معانيه، وعرض أفكاره بلغة تمتاز بحسن العبارة وجودة البيان، كما نجد أن لديه قدرة بديعة على اقتباس المعاني والكلمات من القرآن والأحاديث النبوية. إنه استخدم في قصائده لغة عذبة وكلمات فصيحة بعيدة عن التصنع و التكلف، وذلك بصياغة متقنة وتراكيب محكمة في عبارات ذات صبغة علمية.

وفي الجملة، له قصائد وأشعار كثيرة نظمها في عديد من المناسبات، لأغراض متنوعة ارتجالا بدون تصنع أو تكلف والأصناف التي نظم فيها أبياته هي الحمد والمديح النبوي، والوصف والترحيب والتهنئة والابتهال إلى الله والمراثي وما إلى ذلك فإن عدد أبياته يبالغ آلآف.

ولقد اتضح لنا من خلال دراسة هذه القصائد بأن الشيخ يوسف البنوري كان أديبا بارعا وشاعرا مجيدا وكان له ذوقا خاصا وقدرة فائقة على قرض الشعر باللغة العربية لايضاهيه أحد في كثرة الشعر وقلما يوجد نظيره في الهند.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير ويرضى إنه على كل شيء قدير.

المصادروالمراجع

1. أبو الحسن علي الحسني الندوي، مقدمة الخطابة المطبوعة بالاحتفال المئوي لدار العلوم ديوبند.

2. أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ، 1987م.

3. أيوب تاج الدين، الصحافة العربية في الهند نشأتها وتطورها، دار الهجرة، جامو وكاشمير، الهند، الطبعة الأولى 1997م.

4. الثورة الهندية، فضل حق خير آبادي، مطبعة المدينة، بجنور.

5. جامعة دار العلوم ديوبند رسالتها ونظامها، نشرت هذه الرسالة من مكتب الاحتفال المئوي لدار العلوم ديوبند.

6. زبير أحمد فاروقي، مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي، دار الفاروقي نيو دلهي، 1990م.

7. عبد الحيء الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1983م.

8. عبد الحيء الحسني، نزهة الخواطر، نور محمد أصح المطابع كراتشي.

9. عبد الرحمن البرني، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث، أكاديمية شيخ الهند، دار

العلوم ديوبند، 1998م.

10. عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد المصلح الديني في الهند، (الجزء الأول)، لجنة التعريف بالإسلام، مطابع الأهرام التجارية، 1974م.

11. عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديدللطباعة، الطبعة الأولى، مصر، 1959.

12. عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة، 1964م.

13. القصائد البنورية، محمد حبيب الله مختار الدكتور، المكتبة البنورية علامة محمد يوسف بنوري تاؤن كراتشي، باكستان، 1984.

14. مائة وسبعة عشر عاما للجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، نشرت هذه الرسالة من مكتب الاحتفال المئوي لدار العلوم ديوبند.

15. محمد أنور شاه الكشميري، فيض الباري، المجلس العلمي، دابيل غجرات، الهند، 1375هـ

16. محمد زاهد الكوثري، مقالات الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة، 1372م.

17. محمد زكريا الكاندهلوي، مقدمة أرجز المسالك، نشرت في سهارنفور، الهند.

18. محمد زكريا الكاندهلوي، مقدمة لامع الدراري، نشرت في سهارنفور.

19. محمد عبيد الله الأسعدي، دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية حركة إصلاحيةدعوية مؤسسة تعليمية تربوية، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديو بند

2000م.

20. محمد يوسف البنوري، معارف السنن، المكتبة البنورية، كراتشي.

21. محمد يوسف البنوري، مقدمة لامع الدراري، المكتبة اليحيوية سهارنفور،

22. محمد يوسف البنوري، نفحة العنبر من حياة إمام العصر الشيخ أنور، ديوبند،

23. واضح رشيد الندوي، الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند، مكتبة أبي الحسن الندوي دلهي 2004م.

الكتب الأردية

1. أسير أدروي، حضرت شيخ الهند، حيات اور كارنامے، شيخ الهند اكيدمي دار العلوم ديوبند، 1998م.

2. أنظر شاه مسعودي، نقش دوام، شاه اكيدمي ديوبند، يوبي، 1988م.

3. حسين أحمد مدني، نقش حيات، الجزء الثاني، محمد أسعد خادم دار العلوم ديوبند، 1954م.

4. حسين أحمد مدني، نقش حيات، مكتبه دينيه ديوبندن 1999م

5. سليمان الندوي، عرب وهند كي تعلقات، مطبع معارف أعظم كره، الطبعة الأولى، 1992م.

6. محبوب رضوي، تاريخ دار العلوم ديوبند، مكتبه دار العلوم ديوبند، يوبي، 1993م.

7. محمد تقي عثماني، علماء ديوبند كيا تھے، مكتب الاحتفال المئوي دار العلوم ديوبند، 1980م.

8. مسعود عالم ندوي، هندوستان كي پهلي اسلامي تحريك، مركزي مكتبه إسلامي، دلهي، 1977م.

9. مناظر حسن كيلاني، سوانح قاسمين مكتبه دار العلوم ديوبند

10. مناظر حسن كيلاني، هندوستان مين مسلمانون كا نظام تعليم وتربيت، ندوة المصنفين دلهي، 1944م.

11. مولانا محمد ميان، علماء هند كا شاندار ماضي، كتابستان، الجزء الثاني والثالث، دهلي، 1985م.

الكتب الإنجليزية

Bipan Chandra, India's struggle for Independence, Niking, 1988

M.A. Siddiqui, History of Muslims, Atlantic Publishers & Distributors New Delhi, 1997.

Metcalf, Barbara Daly, Islamic Revival in British Indian, Deoband 1960-1900, Oxford University Press, New Delhi, Fourth Impression 2011.

الجرائد والمجلات

1. ثقافة الهند، المجلد- 41، العدد-2، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بهون نيودلهي، 1990م.

2. ثقافة الهند، عدد خاص، ديسمبر، 1988م.

3. مجلة البينات، عدد خاص، يناير فبراير، 1978، جامعة العلوم الإسلامية، علامة محمد يوسف بنوري تاؤن كراتشي، باكستان.

4. مجلة الداعي، أكتوبر ونوفمبر، 2002م، دار العلوم ديوبند.

5. مجلة الداعي، العدد الخاص مارس وإبريل، دار العلوم ديوبند، 1980م.

محتويات البحث

الصفحة

المقدمة 1- 7

الباب الأول: دارالعلوم ديوبند والمنهج الدراسي

الفصل الأول: الأوضاع الإجتماعية والسياسية في الهند

قبل تأسيس دارالعلوم بديوبند 9 - 27

الفصل الثاني: نشأة دارالعلوم ديوبند وأثرها في المجتمع الهندي 29-51

الفصل الثالث: النظام التعليمى والمنهج الدراسي لدارالعلوم ديوبند 53- 64

الباب الثاني: حياة محمد يوسف البنوري وأعماله

الفصل الأول: حياة محمد يوسف البنوري ونشأته 66- 83

الفصل الثاني: أساتذة العلاّمة محمد يوسف البنوري 85 -7 10

الفصل الثالث:مقاومة الشيخ محمد يوسف البنوري الفرق الضالة. 109-

123

الباب الثالث: محمد يوسف البنوري: خدماته العلمية وعلم الحديث

الفصل الأول: أعمال الشيخ البنوري العلمية والدينية 125- 141

الفصل الثاني: مقدمات علمية للشيخ يوسف البنوري 143-156

الباب الرابع: الشيخ محمد يوسف البنوري أديباً وشاعراً

الفصل الأول: الشيخ محمد يوسف البنوري والأدب العربي 158-176

الفصل الثاني: الشيخ محمد يوسف البنوري من حيث الشاعر 178-188

الفصل الثالث: الرثاء في شعر يوسف البنوري 190-201

الخاتمة 202- 211

المصادروالمراجع 212-216

Muhammad Yousuf Binnauri's contribution to Arabic studies with special focus on ilm al-Hadith

(*Muhammad Yousuf Binnauri: Ishāmātuhū fi taţwīr al-dirāsāt al-'arabīyyah m'a al-tarkeez 'ala 'ilm al- Hadith*)

By

Md. Mahfoozur Rahman

Under supervision of

Dr. Md. Qutbuddin

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067
2017